الفكر السوفسطائي في كتابات مفكري العرب في القرن العشرين

إعداد الدكتور

محمد حامد السيد محمد

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بدمياط الجديدة

الفكر السوفسطائي في كتابات مفكري العرب في القرن العشرين

محمد حامد السيد محمد
قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط الجديدة، جامعة الأزهر، دمياط الجديدة ، مصر
البريد الإلكتروني drmh1283@gmail.com

الملخص:

لقد اختلف الفلاسفة والمؤرخون للفكر الفلسفي في الحكم على الفكر السوفسطائي بين مؤيد ومعارض، فبينما ذهب فلاسفة اليونان إلى نقد ومعارضة هذا الفكر، ووصف أصحابه بالنسبية التي تصل إلى هدم معيار الحقيقة، وتبعهم على ذلك فلاسفة المسيحية وفلاسفة الإسلام في العصر الوسيط، وكذلك استمر هذا النقد عند مفكري الغرب حتى القرن التاسع عشر، وفي مقابل هذا الاتجاه الناقد، نجد أن هناك اتجاها فكريا وقف مدافعا عن هذا الفكر، وقد بدأ ظهوره منذ منتصف القرن التاسع عشر عند بعض فلاسفة العصر الحديث في الغرب، لكن ماذا كان موقف مفكري العرب المؤرخين للفلسفة اليونانية في القرن العشرين من هذا الفكر السوفسطائي؟ هل كانوا مدافعين عن هذا الفكر، أم كانوا معارضين له منتقدين إياه؟، أو بمعنى آخر كيف تناول مفكرو العرب المحدثين هذا الفكر في كتاباتهم؟ والجواب على هذا السؤال سيكون من خلال هذا البحث، الذي سيتم فيه تسليط الضوء على هذه القضية.

الكلمات المفتاحية: السوفسطائية– مفكري العرب– الاتجاه الناقد– الاتجاه المدافع

The position of Arab thinkers and historians of Greek philosophy in the twentieth century towards Sophistic thought

Mohamed Hamed Al-Sayed Mohamed

Department of Belief and Philosophy, College of Islamic and Arabic Studies for Boys, New Damietta, Al-Azhar University, New Damietta, Egypt

Email: drmh1283@gmail.com

Abstract:

Philosophers and historians of philosophical thought have differed in judging the sophistication of thought between supporters and opponents, while Greek philosophers went to criticize and oppose this thought, and described its companions as relativism that reaches the demolition of the standard of truth, and Christian philosophers and philosophers of Islam in the medieval era followed them, and this criticism also continued. Among the thinkers of the West until the nineteenth century, and in contrast to this critical trend, we find that there is an ideological trend that stood in defense of this thought, and its emergence began since the middle of the nineteenth century among some modern philosophers in the West, but what was the position of the Arab thinkers historians of Greek philosophy In the twentieth century from this sophistic thought? Were they defending this thought, or were they opposing it and criticizing it? Or, in other words, how did modern Arab thinkers deal with this thought in their writings? The answer to this question will be through this research, which will shed light on this issue

Key words: Sophism - Arab thinkers - Critical trend - Defending trend

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فإنه لا تخلو مرحلة من مراحل التطور التاريخي للفكر الفلسفي القديم والوسيط والحديث من ذكر للفكر السوفسطائي، باعتباره يمثل تراثا فلسفيا لا يمكن استثناؤه من المناخ الفلسفي العام، وفي كل مرحلة من مراحل التطور التاريخي للفكر الفلسفي لا تكاد تخلو من النزاع عند الحديث عن هذا الفكر.

ولقد اختلف الفلاسفة والمؤرخون للفكر الفلسفي في الحكم على هذا الفكر السوفسطائي بين مؤيد ومعارض، فبينما ذهب فلاسفة اليونان- سقراط وأفلاطون وأرسطو- إلى معارضة هذا الفكر، بل وأجمعوا على ضرورة إسقاط هذا المنهج الهدام، واصفين أصحابه بالنسبية التي تصل إلى هدم معيار الحقيقة، والتشكيك في الأخلاق والقيم، واصفين فلسفتهم بأنها فلسفة تنزع منزع الشك والارتياب، وكان على رأس هؤلاء الفيلسوف اليوناني أفلاطون، والذي كان من أوائل الفلاسفة الذين شنُّوا هجوما حادا على هذا الفكر، وصار نقده لهم تقليدا متبعا عند الفلاسفة والمفكرين الذين جاءوا من بعده(١).

فقد استمر هذا النقد في فلسفة العصور الوسطى، حيث تبع أفلاطون في ذلك النقد كثير من فلاسفة المسيحية، ووافقه على ذلك فلاسفة الإسلام الذين ذهبوا إلى اعتقاد بطلان هذا المنهج بل وذمه ومقته وتسفيهه، ووسم أصحابه بأنهم مُغالطون،

(١) ينظر: موسوعة الفلسفة صـ ٥٨٦، تأليف: د/ عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤م.

مُضلِّلون مُبطلون للحقائق[١]، واستمر هذا الاعتقاد سائدا حتى العصر الحديث عند مفكري الغرب في القرن التاسع عشر.

وفي مقابل هذا الاتجاه الناقد للفكر السوفسطائي، نجد أن هناك اتجاها فكريا آخر وقف مدافعا عن مبادئ الفكر السوفسطائي، وقد بدأ ظهوره منذ القرن التاسع عشر، حيث يصف السوفسطائية بأنها نزعة أدت إلى تحرر العقل من قيود الأساطير والخرافات، وأنها أعادت للإنسان مكانته وجعلته حاكما على الأشياء، فهي – في نظرهم– لم تكن حركة هدم بقصد الهدم وإنما كانت حركة هدم لبناء جديد.

وقد ظهر هذا الاتجاه عند بعض فلاسفة العصر الحديث في الغرب، الذين تبنوا الدفاع عن هذا الفكر السوفسطائي مطالبين بإعادة النظر حول هذا الفكر الذي كان سببا في تطور الفلسفة اليونانية، واصفين عصرهم بأنه كان عصر التنوير[٢].

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن كيف تناول مفكرو العرب في القرن العشرين هذا الفكر السوفسطائي في كتاباتهم؟ أو بعبارة أخرى ماذا كان موقف مفكري العرب في القرن العشرين من هذا الفكر السوفسطائي، هل وقفوا موقف النقد والمعارضة لهذا الفكر، أم أنهم كانوا مدافعين عن مبادئ هذا الفكر، أم أنهم انتقدوه

(١) ينظر: إحصاء العلوم صـ ٢٣- ٢٦، تأليف: أبو نصر الفارابي، تقديم وتعليق: د/ عثمان محمد أمين، مطبعة السعادة- القاهرة ١٩٣١م، تلخيص السفسطة صـ١- ١٠، ٨٣، تأليف: أبي الوليد بن رشد، تحقيق: محمد سليم سالم، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة ١٩٧٢م.

(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة الغربية ١/ ١٤٥، تأليف: برتراند رسل، ترجمة: د/ زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م، قصة الحضارة ٧/ ٢١٦، ٢١٧، تأليف: وِل ديورانت، ترجمة: د/ زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٨م. تاريخ الفلسفة اليونانية صـ ١٠٨- ١١٢، تأليف: وولتر ستيس، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة ١٩٩١، تاريخ الفلسفة- المجلد الأول(اليونان وروما) ١/ ١٣٥- ١٥٢، تأليف: فردريك كوبلستون: ترجمة: د/ إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٢م، وموسوعة الفلسفة صـ ٥٨٦.

في بعض القضايا وأشادوا به وبجهوده في قضايا أخرى؟

هذه هي مشكلة هذا البحث الذي يحاول حلها، والجواب على هذا السؤال سيكون من خلال هذا البحث، الذي سيتم فيه تسليط الضوء فقط على موقف مفكري العرب المؤرخين للفلسفة اليونانية من هذا الفكر السوفسطائي، وقد اخترت نماذج من أشهر المفكرين العرب الذين أرَّخوا للفكر اليوناني في القرن العشرين، وإلا فإحصاء موقف كل مفكري العرب أمر يصعب استيعابه، كما أنه لا يتسع له مثل هذا البحث، وسيكون عنوان هذا البحث "**موقف مفكري العرب المؤرخين للفلسفة اليونانية في القرن العشرين من الفكر السوفسطائي**".

وهذا البحث ذو أهمية كبيرة، وتظهر أهميته في أنه يبين لنا موقف مفكري العرب المؤرخين للفلسفة اليونانية من هذا الفكر السوفسطائي، خاصة في هذا الوقت الذي يتم طرح هذه القضية من جديد على يد بعض المفكرين المعاصرين(١)، كما أنه يبين لنا بعض الأسس والركائز الأساسية التي بنى عليها الناقدين للفكر السوفسطائي نقدهم، بالإضافة إلى أنه يبين لنا أيضا جواب المدافعين عن الفكر السوفسطائي على بعض هذه الأسس والركائز الأساسية للنقد، كما أنه محاولة للتعرف على سر هذا الاهتمام الكبير الذي لقيته هذه الحركة السوفسطائية عبر مراحل تاريخ الفكر الفلسفي.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج التكاملي، الذي يحتم علينا استخدام عدد من المناهج العلمية لبحث الموضوع، منها: المنهج التحليلي، والذي يظهر في ثنايا البحث عند تحليل الآراء وتوضيحها والوقوف على أبعاد كل رأي منها، والمنهج

(١) ينظر على سبيل المثال: دفاعا عن السوفسطائيين، تأليف: د/ الطيب بوعزة، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١، ٢٠١٧م، السوفسطائيون المفترى عليهم، د/ الطيب بو عزة، مقال منشور في أوراق نماء للبحوث والدراسات ٢٠٢٠م، وفيها ينتقد د/ الطيب بوعزة موقف أفلاطون من الفكر السوفسطائي.

الوصفي وذلك من خلال عرض الآراء من مصادرها، والمنهج النقدي الذي يأتي عقيب كل فكرة أو رأي يحتاج إلى التعقيب عليه، بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي يستخدم لبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين مختلف الآراء، وكذلك المنهج التاريخي والذي يظهر عند الحديث عن التعريف بالسوفسطائيين ونشأتهم، وموقف مفكري العرب منهم.

خطة البحث:

قمت بترتيب البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، ومشكلته، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد: التعريف بالسوفسطائيين.

المبحث الأول: الاتجاه الناقد للفكر السوفسطائي.

المبحث الثاني: الاتجاه المدافع عن الفكر السوفسطائي.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته.

التمهيد

التعريف بالسوفسطائيين

جاء في المعجم الفلسفي: «أصل هذا اللفظ في اليونانية سوفيسما Sophisma، وهو مشتق من لفظ سوفوسSophos، ومعناه الحكيم والحاذق»(١).

ويذكر د/ مراد وهبة في كتابه "المعجم الفلسفي" أن:«سوفسطائي اللفظ الأجنبي مأخوذ من اللفظ اليوناني Sophos بمعنى حكيم، والحكيم في معناه الأصلي، في القرن الخامس قبل الميلاد، كان يتميز بالمهارة والحذق، ثم أصبح يدل على الخطيب الذي يعلِّم فن الكلام...، عند أفلاطون أصبح السوفسطائي موضع تحقير، إذ هو مُولع باصطياد الشباب الموسرين»(٢).

ومن خلال هذين النصين يتضح لنا عدة أمور:

١- أن كلمة سوفسطائي لفظة يونانية مشتقة من سوفوس Sophos بمعنى حكيم.

٢- السوفسطائي هو الحاذق أو الماهر في فن من الفنون، ثم أصبح يدل على الخطيب الذي يُعلِّم فنون الكلام.

٣- لم يكن الاسم في أول أمره بغيضا، وإلا فلم يكن "بروتاجوراس(٣)" والذين عاصروه وجاءوا بعده مباشرة يختارون هذا الاسم عنوان عليهم، أما المعنى البغيض، فقد شاع عند أفلاطون في عصره، حيث أصبح السوفسطائي موضع

(١) المعجم الفلسفي ١/ ٦٥٨، تأليف: د/ جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني-بيروت- لبنان، ١٩٨٢م.

(٢) المعجم الفلسفي صـ ٤٠٠، تأليف: د/ مراد وهبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ٢٠١٦م.

(٣) بروتاجوراس(٤٨٠ق.م- ٤١٠ق.م): فيلسوف يوناني ولد في أبديرا، انتقل إلى أثينا حيث اتهم بالتحلل والإلحاد بسبب قوله إنه عاجز عن القطع بوجود الآلهة من عدمه، ففر إلى صقلية لكنه مات غرقا قبل أن يصلها، ومن أشهر أقواله: الإنسان هو مقياس كل شيء. ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية لوولتر ستيس صـ ١٠٢.

تحقير[١].

ويؤكد صاحب كتاب "تاريخ الفلسفة اليونانية" على هذه المعاني السابقة قائلا: « أن اسم "سوفيست" كان يدل في الأصل على المعلم في أي فرع كان من العلوم والصناعات، وبنوع خاص على معلم البيان، ثم لحقه التحقير في عهد سقراط وأفلاطون»[٢].

فهذا التحول لم يحدث إلا في نهاية القرن الخامس الميلادي، حتى أن أحد المؤرخين يشير إلى أنه لو أن زائرا لأثينا في الثلاثين عاما الأخيرة من القرن الخامس قبل الميلاد سأل من أثينا: من السوفسطائي الأول عندكم؟ لكانت الإجابة من غير شك:"سقراط"[٣].

وكذلك يؤكد "ول ديورانت[٤]" على أن كلمة سوفسطائي كانت تعني لدى الناس في بلاد اليونان ما نفهمه نحن من لفظ أستا ذ جامعي، وفي هذا يقول: « وكان الناس يفهمون من هذا اللفظ ما نفهمه نحن من لفظ "أستاذ جامعي"، ولم يكن له معنى محط بالكرامة حتى قام النزاع بين الدين والفلسفة فأدى إلى هجوم المحافظين على السوفسطائيين وأثارت نزعة بعضهم التجارية أفلاطون إلى أن تسوئ سمعتهم بأن عزا إليهم تهمة "السفسطة" بغية المكسب، وهي الوصف الذي ظل لاصقاً بهم إلى يومنا هذا»[٥].

---

(١) ينظر: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط صـ ٢٥٠، ٢٥١، تأليف: د/ أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٩٥٤م.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية صـ ٥٧، ٥٨، تأليف: د/ يوسف كرم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦م.

(٣) ينظر: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون صـ ٨٦، تأليف: د/ عزت قرني، جامعة الكويت ١٩٩٣.

(٤) وليام جيمس ديورانت (١٨٨٥-١٩٨١م): كاتب وفيلسوف أمريكي، نال درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة كولومبيا، وهو مشهور بكتابيه "قصة الحضارة" الذي كتبه بمساعدة زوجته، وكتاب "قصة الفلسفة" ينظر: الموسوعة البريطانية المختصرة صـ٥٨١، طبعة: مطبعة الموسوعة البريطانية ٢٠٠٦م.

(٥) قصة الحضارة ٧/ ٢١٢.

وهذا المعنى السابق يؤكده أيضا "برتراند رسل[١]" في كتابه "تاريخ الفلسفة الغربية"[٢].

أسباب انحراف معنى السوفسطائي:

ذكر المؤرخون للفكر الفلسفي عدة أسباب للتحول في معنى السوفسطائي من المعنى الحسن إلى المعنى القبيح، **ومن هذه الأسباب ما يلي**[٣]:

١- أن كل محاولة من قِبل أي فيلسوف وليس من قِبل السوفسطائين فقط لكشف غوامض الطبيعة واستجلاء أسرارها كانت دائما ما تُقابل بعدم الثقة من المتدينين الذين يؤمنون بكل ما في ديانتهم من أساطير نسبت إلى آلهتهم.

٢- أن غالبية اليونانيين حتى في ظل الديموقراطية الناشئة كانوا يحترمون النزعة الأرستقراطية، وينزلون أصحاب الحرف ممن يلقون الأجور على أعمالهم منزلة أدنى، ولما كان السوفسطائيون من الأجانب الغرباء على أثينا، فضلا عن تناولهم الأجر مقابل التعليم، فقد نظر إليهم الأثينيين هذه النظرة المتدينة.

فالسوفسطائيين كانوا أول من حدد أجرا لدروسهم، فلما كانت الدولة حينذاك لا تخصص من مالها شيئا للإنفاق على المعلمين، فقد اقتصر السوفسطائيون على تعليم كل من يستطيع أن يدفع أجر تعليمه من ماله الخاص، وقد كان هذا فيما يبدو أول سابقة في التعليم لقاء الأجر، ولذلك فقد هوجموا من سقراط وأفلاطون وأرسطو، وهم كبار فلاسفة هذا العصر، واتُهموا بأنهم إنما يتاجرون بالتعاليم[٤].

---

(١) برتراند رسل(١٨٧٢- ١٩٧٠): فيلسوف إنجليزي وعالم منطق ورياضيات مشهور، تُوفيت أمه حين كان في الثانية من عمره، وتُوفي أبوه بعد ذلك بثمانية عشر شهرا، حاز جائزة نوبل الفخرية في الآداب عام ١٩٥٠، من أهم مؤلفاته: تاريخ الفلسفة الغربية، مبادئ الرياضيات. يراجع في ترجمته: مقدمة صغيرة جدا برتراند رسل، تأليف: إيه سي جراييلينج، ترجمة: إيمان جمال الدين الفرماوي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٤م.

(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة الغربية ١/ ١٣٩.

(٣) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي٢/ ٣٦- ٣٩، تأليف: د/ مصطفى النشار، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة ٢٠٠٠م، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط صـ ٢٥١، ٢٥٢، قصة الحضارة ٧/ ٢١٢.

(٤) ينظر: مدخل جديد إلى الفلسفة صـ ٤١، تأليف: د/ مصطفى النشار، دار قباء للطباعة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م.

٣- تلقي هؤلاء للأجر مقابل التعليم كان يعني ببساطة أن القادرين من الأغنياء هم فقط الذين يمكنهم التعلم، بينما يبقى جمهور الشعب بعيدا عن التعلم. فبسبب ذلك تم مهاجمتهم من قِبل جمهور الناس، كما يذكر "وِل ديورانت" في كتابه "قصة الحضارة"، حيث يقول: «ولعل الجمهور كان يشعر نحو هؤلاء بشيء من الكره الخفي من بدء ظهورهم، لأن ما كانوا يتقاضونه من باهظ الأجر نظير تدريس المنطق والبلاغة لم يكن يطيقه إلا الأغنياء الذين أفادوا من علمهم هذا في دور القضاء»(١).

٤- أما السبب الرابع فيتمثل في تلك المعارضة القوية التي وُوجهت بها الحركة السوفسطائية وخاصة من قِبل سقراط وتلميذه أفلاطون الذي خصص الكثير من محاوراته لمعارضة آراءهم ومنها: "محاورة بروتاجوراس"، و"جورجياس"(٢)، والسوفسطائي، وكان سقراط بطل هذه المحاورات.

وهكذا كان أفلاطون على رأس المناهضين لهم، حيث ألّف عنهم خمس كتب عمد فيها إلى تشويه صورتهم والإساءة الشديدة لهم، ومن أهم التعريفات أو النعوت التي ألصقها بهم وضمّنها كتبه، أن السوفسطائي صياد نفعي للشبان ذو طمع وجشع يشتري ويبيع أنواع التعاليم والمعارف دون علمٍ منه هل بضاعته صالحه أم فاسدة، وأنه صغار مرتزقة ومناضل في حلبة الرياضة والخطابة، وماهر في المشاحنة والمعارضة والمناقضة، وهو مشعوذ ووحش ضار يلجأ إلى فن المخاتلة والصيد والاتجار، وقد قال أفلاطون عن السفسطة أيضا: أنها الإيحاء أو الإيهام وخطابها مليء بالسحر والشعوذة، وبوجيز العبارة هم أدعياء معرفة يحاولون محاكاة الحكماء(٣).

---

(١) قصة الحضارة ٧/ ٢١٢.

(٢) جورجياس: ولد في صقلية حوالي عام ٤٨٥ ق.م، واشتهر بتعليم الخطابة وجمع من هذه المهنة ثراء كبيرا، وعاش نحو مائة عام، فلسفته شكية يدل عليها عنوان كتاب ينسب إليه "في الطبيعة أو اللاوجود". ينظر: معجم الفلاسفة صـ ٤٣٨.

(٣) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ٢/ ٣٦، ٣٧.

وبينما يذكر "برتراند رسل" إن الكراهية التي تعرض لها السوفسطائيون لا من غمار الناس وحدهم، بل من أفلاطون وسائر الفلاسفة اللاحقين، كانت ترجع إلى حد ما إلى تفوقهم العقلي(١)، نجد في المقابل كثير من المؤرخين يذكرون أن سبب تلك المعارضة القوية التي قوبلت بها الحركة السوفسطائية من قِبل سقراط وتلميذه أفلاطون كانت بسبب تعاليمهم الهدامة لكل نظام اجتماعي، للدين، للأخلاق، بل لكل نظم الدولة(٢).

وفي رأيي أن هذا السبب هو أهم الأسباب التي أدت إلى هذا التحول في معنى السوفسطائي من المعنى الحسن إلى المعنى القبيح، ولست هنا بصدد الحكم على مدى صحة أو خطأ موقف سقراط وأفلاطون من هذا الفكر السوفسطائي، فهذه مسألة حدث فيها كثير من التنازع بين المفكرين، وسيأتي طرفا منها في ثنايا البحث.

أما عن تاريخ ظهور السوفسطائيين: فقد ظهروا في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد، بعد انتصار اليونان على الفرس، في وقت اتجهت فيه الأوضاع الاجتماعية والسياسة إلى الاستقرار، كما اتجهت الديموقراطية في أن تكون المذهب الذي غلب على الوضع السياسي في أثينا وغيرها من المدن، فكان القضاة ورجال السلطة التنفيذية يُنتخبون بالتصويت، فمع هذا الوضع الاجتماعي الذي يقتضي وجود الجدل والنقاش والمشاركة السياسية آنذاك، فقد شاع تعليم فنون البلاغة والخطابة، ومع رواج التجارة في أثينا، واختلاط اليونانيين مع الأمم وتقاليدها وأعرافها المختلفة، أصبح المناخ زاخرًا بأجواء التنوع والتعدد، وفي ظل وضع التنافس التجاري والسياسي والاحتكام القضائي، نبغت مجموعة من المثقفين كاستجابة لتطورات الوضع الإغريقي، إذ بهم يشتغلون بتعليم البيان وفن البلاغة

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة الغربية ١/ ١٤٥.
(٢) ينظر: قصة الفلسفة اليونانية صـ ١٠٣- ١٠٤، تأليف: د/ أحمد أمين، و د/ زكي نجيب محمود، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٣٥م.

والخطابة السياسية، إذ سعوا إلى تكوين مواطنين صالحين لممارسة السياسة وإدارة الحياة العملية[١].

وهكذا نرى أن ظهور السوفسطائيين قد ارتبط بجملة من التحولات والحوادث التي شهدتها بلاد اليونان خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وأهمها انتشار الديمقراطية، والتي أدت إلى زيادة أهمية الفرد، حيث أن النظام الجديد يتيح لأي فرد الوصول إلى السلطة السياسية إذا امتلك القدرة على إقناع الشعب في مجالسه السياسية.

ويرجع البعض ظهور السوفسطائية إلى ما قبل القرن السادس للميلاد، مع أن هذا

الاسم لم يكن معروفا ولا متداولا في تلك الفترة، وإنما كان المتداول اسم الكاهن والعراف والشاعر والفيلسوف والحكيم والطبيب[٢].

وأما عن نظرة العرب إلى السوفسطائيين: فيذكر المؤرخون أنه لما ساءت سمعة المدرسة السوفسطائية في عهد سقراط وأفلاطون، فقد فقدت تلك المدرسة اعتبارها الأول، فتحولت كلمة "سوفسطائي"، وأصبحت مرادفة لكلمتي التضليل والتهريج، وما زالت كذلك حتى ترجمت الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية، فلم يلحظ تراجمة العرب المعنى القديم للكلمة، فأصبحت السفسطة عندهم عبارة عن المنطق الفاسد القضايا، الباطل الجزئيات[٣].

يقول الإمام الفارابي في كتابه "إحصاء العلوم": «وهذا الاسم، أعني السوفسطائية، اسم المهنة التي بها يقدر الإنسان على المغالطة والتمويه، والتلبيس

(١) ينظر: مدخل جديد إلى الفلسفة صـ ٤٠، تاريخ الفلسفة اليونانية، د/ يوسف كرم صـ ٥٧.
(٢) ينظر: المعجم الفلسفي- د/ جميل صليبا ١/ ٦٥٨.
(٣) ينظر: الفلسفة الإغريقية١/ ١٥٢، تأليف د/ محمد غلاب، ط١، القاهرة، ١٩٣٨م، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ٢/ ٣٠، ٣١.

بالقول والإيهام...، وهو مركب في اليونانية من "سوفيا"، وهي الحكمة، ومن "اسطس"، وهي المموهة، فمعناه حكمة مموهة، وكل من له قدرة على التمويه والمغالطة بالقول في أي شيء كان، سُمي بهذا الاسم، وقيل إنه سوفسطائي»(١).

ويذكر د/ جميل صليبا في "المعجم الفلسفي" أن: «السفسطة عند الفلاسفة هي الحكمة المموهة، وعند المنطقيين هي القياس المركب من الوهميات...، وقيل أيضا: إن السفسطة قياس ظاهره الحق وباطنه الباطل...، وتطلق السفسطة على القياس الذي تكون مقدماته صحيحة ونتائجه كاذبة...، وقد أطلق هذا اللفظ في الأصل على الحاذق في إحدى الصناعات الميكانيكية، ثم أطلق على الحاذق في الخطابة أو الفلسفة، ثم أُطلق بعد ذلك تبذلا على كل دجال مخادع»(٢).

ثم قسَّموا السوفسطائية إلى ثلاث فرق: العندية، والعنادية، واللاأدرية

فالعندية: وهم القائلون أن حقائق الأشياء تابعة للاعتقادات، وينكرون ثبوتها، وهو مذهب بروتاجوراس، **والعنادية:** وهم الذين يعاندون ويدعون أنهم جازمون بأن لا موجود أصلا، كأن الحقائق عندهم سراب يحسبه الظمآن ماء وليس لها ثبوت، فهم ينكرون حقائق الأشياء، ويزعمون أنها أوهام وخيالات باطلة، وهو مذهب جورجياس، **وأما اللا أدرية:** فهم القائلون بالتوقف في وجود كل شيء وعلمه، فهم يزعمون أنه شاكون وشاكون في أنهم شاكون وهلم جرا، وهو مذهب أصحاب "بيرون"(٣).

وقد عرف مفكري الإسلام الأقدمين السوفسطائية كما ذكرنا سابقا من خلال

(١) إحصاء العلوم صـ ٢٤، ٢٥.
(٢) المعجم الفلسفي ١/ ٦٥٨، ٦٥٩.
(٣) ينظر: المعجم الفلسفي١/ ٦٦٠، شرح العقائد النسفية صـ ٢١، ٢٢، تأليف: العلامة سعد الدين التفتازاني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠١٩م، ويذكر د/ حسن الشافعي أنه من الخطأ اعتقاد أن الفرق الثلاث جميعا من السوفسطائية. ينظر: المدخل إلى الفلسفة العامة والفلسفة الإسلامية صـ ٩٩، تأليف: د/ حسن محمود عبد اللطيف الشافعي، دار البصائر- القاهرة، ط١، ٢٠١٢.

أفلاطون وأرسطو، فليس لدينا عن السوفسطائيين مصادر يوثق بها ويعتمد عليها في إبانة مذهبهم، وتوضيح فكرهم إلا تراث سقراط ومؤلفات أفلاطون وأرسطو، وبعض شذرات متفرقة بقيت لنا من نصوهم خاصة بآرائهم الفلسفية وتراكيب أقيستهم السوفسطائية، فهي وحدها التي أنارت لنا سبيل معرفة هذه المدرسة(١).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هل ما كتبه فلاسفة اليونان كسقراط وأفلاطون وأرسطو عن السوفسطائيين كان صحيحا؟

والجواب عن هذا السؤال أن هناك خلافا بين المفكرين في هذا الموضوع، فبعضهم يرى أن أفلاطون ومن بعده أرسطو قد شوها تاريخ السوفسطائية(٢)، وبعضهم يجزم بأنه على الرغم من أنهم كانوا من ألد خصوم السوفسطائيين، إلا أنه على يقين بأن ما كتبوه عن مذهبهم صحيح، بل كانوا عادلين ومنصفين في الحكم عليهم(٣).

ونقول: إن آراء الفلاسفة في حق بعضهم البعض لا ينبغي أخذها إلا بكثير من التحوط والاحتراس، ولا يعني هذا أننا ننكر كل رأي قيل في حق فيلسوف من فيلسوف آخر، بل نؤكد على ضرورة الاحتياط في قراءة تاريخ الفلسفة عند الفلاسفة، ولذا يقول "برتراند رسل":« فلئن رأيت أفلاطون يكرس مجهوده لتشويه حسناتهم والافتراء عليهم بالكذب، فلا تحكم عليهم بمحاوراته»(٤).

ومن خلال تتبع كتابات مفكري العرب المؤرخين للفلسفة اليونانية في القرن العشرين من مبادئ الفكر السوفسطائي، وجدنا أنه يمكن تقسيمهم إلى اتجاهين:

١- اتجاه يغلب عليه جانب النقد والمعارضة، ويمكننا أن نطلق عليه الاتجاه

(١) ينظر: الفلسفة الإغريقية١/ ١٤٢، ١٤٣، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/ ١٦٣، تأليف: د/علي سامي النشار، دار المعارف- القاهرة، ط٩، ١٩٧٧.
(٢) ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/ ١٦٣.
(٣) ينظر: الفلسفة الإغريقية ١/ ١٤٣.
(٤) تاريخ الفلسفة الغربية ١/ ١٤٢.

الناقد للفكر السوفسطائي، ويمثله من المفكرين: د/ يوسف كرم[١]، د/ إبراهيم مدكور[٢]، د/ محمد غلاب[٣]، د/ أحمد أمين[٤]، د/ زكي نجيب محمود[٥]، د/ محمد علي أبو ريان[٦].

---

(١) د/ يوسف كرم (١٨٨٦- ١٩٥٩): فيلسوف مصري ومؤرخ للفلسفة، درس الفلسفة وتاريخها في جامعة الاسكندرية، وعمل بالتدريس في جامعة فؤاد الأول وجامعة الإسكندرية، ومن أهم مؤلفاته: تاريخ الفلسفة اليونانية، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، تاريخ الفلسفة الحديثة. ينظر: معجم الفلاسفة صـ ٥٢٠، إعداد: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.

(٢) د/إبراهيم بيومي مدكور(١٩٠٢ - ١٩٩٦): عالم لغة ومختص بالفلسفة وأستاذ جامعي مصري، ولد بأبي النمرس بمحافظة الجيزة، وأصبح رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ عام ١٩٧٤ خلفاً لطه حسين، انضم إلى هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وأُنتدب للتدريس في بعض الكليات الأزهرية، ومن أهم مؤلفاته: الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق. ينظر: إبراهيم بيومي مدكور من قرن إلى قرن، مجلة اتحاد الجامعات العربية، اتحاد الجامعات العربية - الأمانة العامة، عدد١، ١٩٨٠م.

(٣) د/محمد غلاب (١٨٩٩-١٩٧٠ م): وُلد بمحافظة المنيا بمصر، تلقى تعاليمه الأولى في كتاب القرية، ثم انتقل إلى الأزهر الشريف، حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ليون عام ١٩٢٩، وفى عام ١٩٣٢ عاد إلى الأزهر، وعمل مدرسًا في كلية أصول الدين حتى عام ١٩٥٩، ومن مؤلفاته: الفلسفة الشرقية، والفلسفة الإغريقية. ينظر: الأستاذ الدكتور محمد غلاب فيلسوف أزهري رائد، مقال بمجلة الأزهر الشريف، بقلم: أ. د/ محمد عبد الفضيل القوصي، عدد مارس ٢٠٢٠م.

(٤) د/ أحمد أمين(١٨٨٦- ١٩٥٤): ولد في القاهرة، ونشأ في كنف والد أزهري، ما جعله يكمل تعليمه في الأزهر، التحق بمدرسة القضاء الشرعي" حيث نال منها شهادة القضاء سنة ١٩١١، درّس بعدها سنتين في مدرسة القضاء الشرعي، ثم انتقل عام ١٩١٣ إلى القضاء فعمل قاضيا مدة ثلاثة أشهر، ثم عاد بعدها مدرسا بمدرسة القضاء، حتى عرض عليه صديقه طه حسين أن يعمل مدرسا بكلية الآداب بجامعة القاهرة، فعمل فيها مدرسا ثم أستاذا مساعدا إلى حتى أصبح عميدا لها، من أهم مؤلفاته: فجر الإسلام، وظهر الإسلام، وضحى الإسلام. يراجع: أحمد أمين مؤرخ الفكر الإسلامي، تأليف: د/ محمد رجب البيومي، دار القلم- دمشق- ط١، ٢٠٠١م.

(٥) د/ زكي نجيب محمود(١٩٠٥- ١٩٩٣): ولد في قرية ميت الخولي بمحافظة دمياط، وقضى تعليمه الابتدائي والثانوي في السودان حيث كان يعمل والده، وأتم المرحلة الجامعية بمصر وتخرج عام ١٩٣٠، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة لندن ١٩٤٧، ثم عمل مدرسا للفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة إلى أن صار أستاذا، ومن أهم مؤلفاته: قصة عقل، تجديد الفكر العربي. ينظر: زكي نجيب محمود مفكرا عربيا ورائدا للاتجاه العلمي التنويري صـ ١١- ١٩، إشراف وتصدير: د/ عاطف العراقي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الاسكندرية ٢٠٠١م.

(٦) د/ محمد علي أبو ريان(١٩٢٠-١٩٩٦م): ولد في عام ١٩٢٠، تخرج في كلية الإسكندرية عام ١٩٤٤، وحصل على الماجستير عام ١٩٤٩، ثم حصل على دكتوراه الدولة في الفلسفة من السربون عام ١٩٥٥، ومن أهم مؤلفاته: أصول الفلسفة الإشراقية، هياكل النور للسهروردي. ينظر ترجمته في تقديم الأستاذ الدكتور/ محمد ثابت الفندي لكتاب د/ محمد علي أبو ريان تاريخ

٢- اتجاه يغلب عليه جانب الدفاع، ويمكننا أن نطلق عليه الاتجاه المدافع عن الفكر السوفسطائي، ويمثله من المفكرين د/ عبدالرحمن بدوي[١]، د/ محمد عبد الرحمن مرحبا[٢]، د/ أميرة حلمي مطر[٣]، د/ مصطفى النشار[٤].

وكان المُسوِّغ لاختيار هؤلاء المفكرين بالذات دون غيرهم، كما ذكرنا سابقا في مقدمة البحث، هو أنهم كانوا أبرز المفكرين الذين أرَّخوا للفلسفة اليونانية بصفة عامة، وللفكر السوفسطائي بصفة خاصة.

الفكر الفلسفي -الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون- ، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠١٤م.

(١) د/عبدالرحمن بدوي(١٩١٧- ٢٠٠٢م): ولد في قرية شرباص مركز فارسكور بمحافظة دمياط، من أسرة ريفية موفورة الثراء، واصل تعليمه حتى أصبح أستاذا بقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، ثم أستاذا في عدد كبير من الكليات، وحصل على العديد من الأوسمة، ومن جوائز الدولة التشجيعية، وشارك في العديد من المؤتمرات الدولية، من مؤلفاته: موسوعة الفلسفة. ينظر ترجمته في: سيرة حياتي ١/ ٥- ٧، تأليف: د/ عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١، ٢٠٠٠م، معجم الفلاسفة صـ ١٥٦.

(٢) د/ محمد عبدالرحمن مرحبا: ابن الشيخ عبد الحميد مرحبا سمي بـفيلسوف طرابلس، تعلم في مدارس طرابلس، وحاز على دكتوراه في الفلسفة والعلوم، وهو أستاذ الفلسفة الإسلامية في الجامعة اللبنانية، وأثبت حضوره الاكاديمي خلال سنوات التدريس، كما كان له حضور لافت في الحياة العلمية والفكرية، أصدر العديد من الكتب منها: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. ينظر: ترجمته على هذا الموقع http://www.ektab.com .

(٣) د/ أميرة حلمي مطر: ولدت في عام ١٩٣٠ بحي حدائق القبة بالقاهرة لأسرة عريقة، واصلت تعليمها حتى التحقت بكلية الآداب قسم الفلسفة جامعة القاهرة، وبعد تخرجها واصلت مسيرتها العلمية حتى حصلت على درجتي الماجستير والدكتوراه، ثم رأست قسم الفلسفة بجامعة القاهرة حتى عام ١٩٨١، شاركت في العديد من المؤتمرات العربية والدولية، من أهم مؤلفاتها: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، علم الجمال تاريخه ونشأته. ينظر: أميرة حلمي مطر في المشهد الفلسفي المعاصر، مقال نشرته د/ خديجه زتيلي، وهو موجود على شبكة الإنترنت.

(٤) د/ مصطفى النشار(١٩٥٣- ...): ولد الدكتور مصطفى النشار بمركز طنطا بمحافظة الغربية، وتخرج في قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٥ بتقدير امتياز، ثم حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في الفلسفة، وتدرج في سلك التدريس بالجامعة حتى حصل على درجة الأستاذية ١٩٩٧، ومن أهم مؤلفاته: ضد العولمة، وفي فلسفة الحضارة. ينظر: حوار مع المفكر المصري د. مصطفى النشار، تقديم: غيضان السيد علي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، وموقعها https://www.mominoun.com/articles

وسنبدأ الحديث إن شاء الله تعالى في المبحث الأول عن الاتجاه الناقد للفكر السوفسطائي، ثم نتبعه بالحديث عن الاتجاه المدافع عن الفكر السوفسطائي، وذلك في المبحث الثاني.

المبحث الأول

الاتجاه الناقد للفكر السوفسطائي

ذكرنا قبل ذلك أن القراءة الأفلاطونية النقدية للفكر السوفسطائي ظلت تقليدا متبعا عند فلاسفة العصور الوسطى المسيحية والإسلامية، واستمرت بعد ذلك في العصر الحديث عند مفكري الغرب المحدثين، وكذلك عند بعض مفكري العرب المحدثين المؤرخين للفلسفة اليونانية، **ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:**

١، ٢- د/ يوسف كرم، د/ إبراهيم مدكور:

أ- **أما عن د/ يوسف كرم:** فيعتبر من أشهر مفكري العرب المحدثين، والذي وجه نقدا حادا إلى السوفسطائيين، فهو يرى أن اسم «سوفيست» كان يدل في الأصل على المعلم في أي فرع كان من العلوم والصناعات، وبنوع خاص على معلم البيان، ثم لحقه التحقير في عهد سقراط وأفلاطون؛ لأن السوفسطائيين مجادلين مغالطين، وكانوا متجرين بالعلم.

أماعن وصفهم بالجدل، فيقول: « أما الجدل فقد وقفوا عليه جهدهم كله، خرجوا من مختلف المدارس الفلسفية لا يرمون لغير تخريج تلاميذ يحذقونه، وكانوا يفاخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء، وبإيراد الحجج الخلابة في مختلف المسائل والمواقف، ومن كانت هذه غايته فهو لا يبحث عن الحقيقة، بل عن وسائل الإقناع والتأثير الخطابي، ولم يكن ليتم لهم غرضهم بغير النظر في الألفاظ ودلالاتها، والقضايا وأنواعها، والحجج وشروطها، والمغالطة وأساليبها، فخلفوا في هذه الناحية من الثقافة أثرًا حقيقًا بالذكر، أما سائر العلوم فكانوا يلمون بها إلماما يساعدهم على استنباط الحجج والمغالطات وعلى التظاهر بالعلم، فتناولوا بالجدل المذاهب الفلسفية المعروفة، وعارضوا بعضها ببعض، وتطرق عبثهم إلى المبادئ الخلقية والاجتماعية، فجادلوا في أن هناك حقا وباطلا وخيرا وشرا وعدلا وظلما بالذات، وأذاعوا التشكك في الدين، فسخروا من شعائره واختلقوا على آلهته

الأقاويل، ومجدوا القوة والغلبة، وكان الأمر إلى الديموقراطية تتعدد فيها القوانين وتتناسخ فيدخل على النفوس أن القانون والحق ما يريده القوي»[١].

فالنقد الأول الذي انتقد به د/ يوسف كرم المدرسة السوفسطائية، هو استخدام الجدل والمغالطة، والمفاخرة بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء، واستخدام الجدل في تناول المذاهب الفلسفية المعروفة، ومعارضة بعضها ببعض، وقد انسحب ذلك على المبادئ الخلقية والاجتماعية والسياسية.

ووصف السوفسطائيين بالجدل هو وصف أطلقه عليهم أفلاطون من قبل ، فقد ذكر د/ أحمد فؤاد الأهواني[٢] في كتابه "فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط"، أن أفلاطون في محاوراته يتساءل عن معنى السوفسطائي، وذلك حينما يسأل الغريب "ثياتيتوس[٣]" عن معنى هذا الاسم، وينتهي الحوار إلى وضع ست صور مختلفة لمعنى السوفسطائي وهي قناص، تاجر، بائع، صانع، مجادل، معالج[٤].

ويذكر "برتراند رسل" في كتابه "حكمة الغرب" أنه من المهم أن نميز بين هذا النوع من الجدل الخطابي، وبين الجدل الفلسفي(الديالكتيك)، فالذين يمارسون الأول يضعون الفوز نصب أعينهم، على حين أن أصحاب الجدل الفلسفي يحاولون الوصول إلى الحقيقة، وهذا في الواقع هو الفرق بين المجادلة والمناقشة[٥].

وأما عن وصفهم بالإتجار بالعلم، فيقول: «وأما اتجارهم بالعلم فقد كان شائنًا

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية صـ ٥٨.

(٢) د/أحمد فؤاد الأهواني(١٩٠٨- ١٩٧٠): حاصل على ليسانس آداب في مايو ١٩٢٩بتقدير امتياز، ثم الدكتوراه بمرتبة الشرف في أغسطس ١٩٤٣، وعمل مدرسا بالمدارس الثانوية، ثم مدرسا بكلية الآداب جامعة القاهرة من ١٩٤٦، حتى أصبح رئيس قسم الفلسفة في ١٩٦٥ من أهم مؤلفاته: معاني الفلسفة، في عالم الفلسفة، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط. ينظر ترجمته في: مقدمة تحقيقه لكتاب مباهج الفلسفة لـ "ول ديورانت"، تقديم: د/ إبراهيم بيومي مدكور، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٥.

(٣) هي شخصية وهمية جعلها أفلاطون محورا من محاور عرضه لقضية السفسطة.

(٤) ينظر: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط صـ ٢٤٦.

(٥) ينظر: حكمة الغرب ١/ ٧٣، تأليف: برتراند رسل، ترجمة: د/ فؤاد زكريا، عالم المعرفة ١٩٨٣.

حقًّا؛ كانوا يتنقلون بين المدن يطلبون الشباب الثري ويتقاضونه الأجور الوفيرة، وكان هذا الشباب يهرع إليهم ليتقوى بالعلم فوق ما توفر له من أسباب الغلبة كالمال والعصبية، فيستمع إلى خطبهم العلنية ودروسهم الخاصة، فأصابوا مالًا طائلًا وجاهًا عريضًا، ولكن اليونان كانوا يستقبحون أن يباع العلم ويشترى، وكانوا يفهمون المدرسة على أن التلاميذ يفدون على المعلم يقيم في مكان دائم، ولا يبذلون من المال إلا الضروري لحاجات المدرسة، فعكس السفسطائيون الآية وتنزلوا بالعلم إلى مستوى الحرف والصنائع، فلحقتهم الزراية، لم يأخذوا بالعلم على أنه معرفة الحقيقة، ولم يكترثوا لقيمته الذاتية ولا لفطرة العقل التي تدفعه لطلب الحق، بل استعملوا العلم وسيلة لجر منفعة غريبة عن العلم، وهزأوا من العقل، فكانوا معلمين وخطباء، ولم يكونوا حكماء، هذا هو الموقف الشاذ الأثيم الذي جعل اسمهم سُبَّة على مر الأجيال»[1].

وهذا هو الانتقاد الثاني الذي وجهه د/ يوسف كرم للمدرسة السوفسطائية، والمتمثل في المتاجرة بالعلم، والحصول على الأموال الباهظة في سبيل التعليم، وكأن العلم سلعة معروضة في السوق يحصل عليها من يجد ثمنها، وهو أمر لم يكن معهودا عند اليونان من قبل، وهو نفس الانتقاد الذي وجهه أفلاطون إليهم، حيث انتقدهم في الكتاب السادس من الجمهورية[2].

أشهر الشخصيات السوفسطائية التي انتقدها د/ يوسف كرم:

يذكر د/ يوسف كرم في كتابه "تاريخ الفلسفة اليونانية" أن أشهر الشخصيات السوفسطائية اثنان: "بروتاجوراس" و"جورجياس".

١- **أما عن بروتاجوراس:** فيَذكُر في ترجمته له أنه قد نشر كتابًا أسماه

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية صـ ٥٨، ٥٩.
(٢) ينظر: الجمهورية لأفلاطون- الكتاب السادس صـ ٢٠٩، ترجمة: حنا خباز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.

"الحقيقة" وردت في رأسه هذه العبارة: «لا أستطيع أن أعلم إن كان الآلهة موجودين أم غير موجودين فإن أمورا كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم أخصها غموض المسألة وقصر الحياة»، فاتُهم بالإلحاد وحُكم عليه بالإعدام وأحرقت كتبه علنا، ففر هاربا ومات غرقا في أثناء فراره، يقول د/ يوسف كرم: «وقد وصلت إلينا من الكتاب المذكور عبارة أخرى هي قوله: "الإنسان مقياس الأشياء جميعًا، هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس لا وجود ما لا يوجد"، وشرحها أفلاطون كما يلي، قال: يتبين معناها بالجمع بين رأي "هرقليطس" في التغير المتصل(١)، وقول "ديموقريطس": إن الإحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة فيخرج منهما: أن الأشياء هي بالنسبة إليَّ على ما تبدو لي، وهي بالنسبة إليك على ما تبدو لك، وأنت إنسان وأنا إنسان، فالمقصود بالإنسان هنا الفرد من حيث هو كذلك لا الماهية النوعية، ولما كان الأفراد يختلفون سنًّا وتكوينًا وشعورًا، وكانت الأشياء تختلف وتتغير، فإن الإحساسات تتعدد بالضرورة وتتناقض، أليس يحدث أن هواء بعينه يرتعش منه الواحد ولا يرتعش الآخر، ويكون خفيفًا على الواحد عنيفًا على الآخر؟ فماذا عسى أن يكون في هذا الوقت الهواء في ذاته؟ هل نقول: إنه بارد أم نقول: إنه ليس باردًا؟ أم نسلم أنه بارد عند الذي يرتعش، وأنه ليس ببارد عند الآخر؟، وإذن فلا يوجد شيء هو واحد في ذاته وبذاته، ولا يوجد شيء يمكن أن يسمى أو يوصف بالضبط؛ لأن كل شيء في تحول مستمر» فما نحسه هو موجود على النحو الذي نحسه وما ليس في حِسِّنَا فهو غير موجود، وعلى ذلك تبطل الحقيقة المطلقة لتحل محلها حقائق متعددة بتعدد الأشخاص وتعدد حالات الشخص الواحد »(٢).

---

(١) ذهب هيرقليطس إلى أن جميع الأشياء دائمة التغيير والتحول، والتغير عند هيرقليطس يعني: أن كل موجود جزئي هو كذا وليس كذا في آنٍ واحد، أو نقطة تتلاقى عندها الأضداد وتتنازعها، فيمتنع وصفه بخصائص دائمة ضرورية، ويجري التغير وفقا للكلمة أو القانون الإلهي أو العقل الكلي الذي يحكم كل الأشياء، فهيرقليطس يرى أن هناك تغيرا حاصلا في الوجود الطبيعي، فجاء السوفسطائيون وجعلوا هذا التغيير عاما في كل شيء، حتى شمل الأخلاق والسياسة. ينظر: ربيع الفكر اليوناني صـ ١٣٩، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط صـ٩٨- ١٢٦.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية صـ ٥٩، ٦٠.

فأفلاطون ينتقد موقف "جورجياس" من المعرفة وكيفية الحصول عليها، من ناحية الإدراك الحسي، ومن ناحية نسبية المعرفة، فالإحساس عند "جورجياس" هو المصدر الوحيد للمعرفة، وهذا يؤدي إلى بطلان الحقيقة المطلقة، وهذا الإقرار بنسبية الحقيقة هو ما جعل "بروتاجوراس" يقول ببساطة ودون أن يتنصل من نتيجة فكرته الأساسية "إن القضيتين المتناقضتين يجب أن تكون كلتاهما صادقتين"، ولذا فقد حاول أفلاطون في محاورة "جورجياس" أن يبطل دعوى السوفسطائيين في قولهم إن المعرفة مكتسبة من العالم الخارجي فقط، بل هي فطرية لا تُعلَّم ولا تُلقَّن.

ومعظم المؤرخين يرون أن أفلاطون قد فسر عبارة "بروتاجوراس" على أنها تعني الإنسان الفرد وليس النوع الإنساني[1]، وهذا التفسير يؤدي إلى القول بنسبية المعرفة، وقد طبق السوفسطائيون هذا المعيار على القيم الأخلاقية وقالوا بنسبيتها، فالقيم والمبادئ في مجال الأخلاق نسبية متغيرة بتغير الزمان والمكان والظروف والأحوال.

لكن لابد أن نشير إلى أنه قد ذهب بعض المفكرين إلى أن قول "بروتاجوراس": "الإنسان مقياس جميع الأشياء" لا يفهم منه النسبية وحدها، بل هذه المقولة يمكن أن تفهم بفهم آخر، فإذا كان أفلاطون يفسر هذا القول المأثور عن "بروتاجوراس" بأن: المعرفة تعتمد على الشخص العارف، وأنها نسبية تتغير من فرد لآخر، وأن ما يبدو لي حقا فهو حق، وكلانا على حق، فإن هناك تفسير آخر لقول "بروتاجوراس"، وهو أن المقصود بالإنسان هو الإنسان كنوع وليس كفرد، أي أن الإنسان هو مقياس الحقائق، أو أن الحقائق من وضع عقولنا، وأما الموجودات في الخارج فمستقلة عنا وماهيتها فوق قدرات عقول الناس، وفي ضوء هذا التفسير تُفسر نسبة المعرفة عند السوفسطائيين بأنها المعرفة التي مصدرها إنساني بحت، فالمجتمع أو النوع البشري ككل هو مقياس الحقيقة، وليس بمعنى أن الحقائق هي

(1) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ٤٧/٢، ٤٨.

ما يحلو لكل فرد[١].

وأيضا لابد من الإشارة إلى وجود تناقض في المتن الأفلاطوني- فأفلاطون نفسه قد اختلف في تقييمه لبعض السوفسطائيين، وقد ذكر هذا الأمر د/ يوسف كرم- حيث إن لأفلاطون محاورة اسمها "بروتاجوراس" أقدم من "ثياتيتوس"، ففي محاورة "بروتاجوراس" يصور فيها أفلاطون السوفسطائي بأنه حيا يرزق غير شاك لا كثيرا ولا قليلا، بينما هو يقول عنه في المحاورة الأخرى(ثياتيتوس) أنه مات منذ زمن طويل، ويورد مذهبه على أنه رأي خاص يختلف عما كان يعلنه للجمهور، فأي التفسيرين أولى بالأخذ؟[٢].

٢- **أما جورجياس:** فيقول عنه بعد أن ترجم له: «وضع كتابًا "في اللاوجود" قصد به إلى التمثيل لفنه، والإعلان عن مقدرته بالرد على الإيليين[٣] والتفوق عليهم في الجدل، وتتلخص أقواله في قضايا ثلاث؛ الأولى: "لا يوجد شيء". الثانية: "إذا كان هناك شيء فالإنسان قاصر عن إدراكه". الثالثة: "إذا فرضنا أن إنسانًا أدركه فلن يستطيع أن يبلغه لغيره من الناس".

أما عن الأولى فيقول: اللاوجود غير موجود من حيث إنه لا وجود، والوجود غير موجود كذلك؛ فإن هذا الوجود إما أن يكون قديمًا أو حادثًا، فإن كان قديمًا فهذا يعني أنه ليس له مبدأ وأنه لا متناهٍ ولكنه محوي بالضرورة في مكان، فيلزم أن مكانه مغاير له وأعظم منه، وهذا يناقض كونه لا متناهيًا وإذن فليس الوجود قديمًا، أما إن كان حادثًا فإما أن يكون قد حدث بفعل شيء موجود أو بفعل شيء غير موجود، ففي الفرض الأول لا يصح أن يقال: إنه حدث؛ لأنه كان موجودًا في

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة- فردريك كوبلستون ١/ ١٤٢، والفلسفة اليونانية عرض ونقد صـ ٣٤، تأليف: أ. د/ أحمد السيد علي رمضان، ط٢، ٢٠١٢م، وسيأتي مزيد من التوضيح لهذه القضية عند الحديث عن الاتجاه المدافع عن الفكر السوفسطائي، حيث مال أكثرهم إلى هذا التفسير.

(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية صـ ٦٠.

(٣) كان مذهبهم رد المعرفة إلى العقل وليس إلى الحواس، فالحواس مشكوك فيها، وقد آمنوا بوجود حقيقة مطلقة بإمكان العقل أن يصل إليها، ولهذا كانوا موضع نقد من السوفسطائيين.

الشيء الذي أحدثه فهو إذن قديم، وفي الفرض الثاني الامتناع واضح.

وأما عن القضية الثانية: فإنه يقول: لكي نعرف وجود الأشياء يجب أن يكون بين تصوراتنا وبين الأشياء علاقة ضرورية هي علاقة المعلوم بالعلم؛ أي أنْ يكون الفكر مطابقًا للوجود وأن يوجد الوجود على ما نتصوره، ولكن هذا باطل فكثيرًا ما تخدعنا حواسنا وكثيرًا ما تركب المخيلة صورًا لا حقيقة لها.

وأما عن القضية الثالثة: فترجع حجته إلى أن وسيلة التفاهم بين الناس هي اللغة، ولكن ألفاظ اللغة إشارات وضعية؛ أي رموز، وليست مماثلة للأشياء المفروض علمها، فكما أن ما هو مدرك بالبصر ليس مدركًا بالسمع والعكس بالعكس، فإن ما هو موجود خارجًا عنا مغاير للألفاظ، فنحن ننقل للناس ألفاظنا ولا ننقل لهم الأشياء، فاللغة والوجود دائرتان متخارجتان(١).

وهكذا ينتهي الأمر إلى الشك في المعرفة، وإمكانية الحصول عليها، وهذا أيضا كان أحد الأسباب التي دعت أفلاطون لنقدهم ومخالفتهم، ولذا نجد د/ يوسف كرم بعد أن قام بشرح القضايا الثلاث عند "جورجياس"، نراه يقول: «هذا مثال من عبث السوفسطائيين»(٢).

وبعد ذلك يصدر د/ يوسف كرم حكما عاما على السوفسطائيين قائلا: «ومهما يُقَلْ من أنهم أخرجوا الثقافة من المدارس الفلسفية ونشروها في الجمهور، وأنهم مهدوا للمنطق وللأخلاق؛ فقد كادوا يقضون على الفلسفة لولا أن أقام الله سقراط ينتشلها من هذه الورطة المهلكة»(٣).

هذا هو موقف د/ يوسف كرم من الفكر السوفسطائي، فقد أخذ عليهم استخدام أسلوب الجدل والمغالطة، والمتاجرة بالعلم، والقول بنسبية المعرفة، والشك في

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية صـ ٦١، ٦٢.
(٢) المصدر السابق صـ ٦٢.
(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

المعرفة وفي إمكانية الحصول عليها، وبالتالي فقد كادوا أن يقضون على الفلسفة لولا سقراط.

ب- وأما بالنسبة للدكتور إبراهيم مدكور: فقد شارك د/ يوسف كرم موقفه من الفكر السوفسطائي، ففي كتابهما "دروس في الفلسفة" يتحدث د/ إبراهيم مدكور عن السوفسطائيين، واصفا إياهم بأنهم كانوا سببا في إذاعة الشك والإلحاد في الفكر اليوناني، وأنهم كانوا في الأصل مُعلِّمو بيان فلما أساءوا استعمال الجدال، وأصبحوا مغالطين ومعلمي مغالطة، تحول معنى اللفظ تبعا لذلك، وشاع بهذا المعنى في العربية وفي اللغات الأوربية الحديثة.

فقد كانوا يطوفون في المدن يُلقون الخطب الخلابة ويتحدثون في ما يقترح عليهم من موضوعات تأييدا لرأي أو نقضا له، أو تأييدا ونقضا على التوالي، لا يقصدون إلى بيان الحق، بل إلى الدلالة على مقدرتهم الخطابية والجدلية، فيتقاطر عليهم شباب الأسر الغنية يطلب منهم دروسا فيتقاضون أجورا عالية(١).

كما يصفهم د/ إبراهيم مدكور بأنهم كانوا يتلاعبون بمعاني الألفاظ، ويعارضون المذاهب الفلسفية بعضها ببعض، يقول: « وكان جدلهم في الواقع سهلا يسيرا، إذ كانوا يعتمدون على الألفاظ المشتركة، تلك التي تؤخذ على أكثر من معنى، يلعبون بمعانيها المختلفة فيبهرون السامع، أو يربكون الخصم، وكانوا يعارضون المذاهب الفلسفية بعضها ببعض، وينتقدون حجج أحدها بحجج الآخر، دون أن يشتغلوا هم بالفلسفة، ويعارضون العقائد والأخلاق والعادات بعضها ببعض عند مختلف الشعوب، فشككوا الناس في العقل والحق، والخير والشر، والعدل والظلم»(٢).

(١) ينظر: دروس في الفلسفة صـ ٧٥، تأليف: د/ يوسف كرم، د/ إبراهيم مدكور، عالم الأدب للنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١٦.
(٢) المصدر السابق صـ ٧٦.

ويتعرض د/ إبراهيم مدكور لشخصية واحدة فقط من أشهر الشخصيات السوفسطائية، وهي شخصية "بروتاجوراس"، وخاصة لعبارته المشهورة التي قالها، وهي أن "الإنسان مقياس الأشياء جميعا"، ويصف هذه العبارة بأنها بقيت عنوانا على الشك، فبسبب هذه العبارة تبطل الحقيقة التي يشترك فيها الناس جميعا، وتحل محلها حقائق مؤقتة متعددة بتعدد الأشخاص وتعدد حالات الشخص الواحد.

وفي النهاية يذكر د/ إبراهيم مدكور أن هذه الحركة السوفسطائية كانت خليقة أن تقضي على الفلسفة اليونانية، وأن تمحو ذكرها من التاريخ، لولا مجيء سقراط الذي وجه الفلسفة وجهة جديدة، ونفخ فيها روحا منعشة، فاستأنفت سيرها إلى الأمام(١).

وهكذا نجد أن المآخذ التي أخذها د/ إبراهيم مدكور على الفكر السوفسطائي لا تخرج عن المآخذ التي ذكرها من قبل د/ يوسف كرم، وهي استخدام أسلوب الجدل والمغالطة، والمتاجرة بالعلم لتحقيق منفعة مادية، والشك في المعرفة، وهي أيضا نفس المآخذ التي أخذها عليهم أفلاطون من قبل.

٣- د/ محمد غلاب:

يبدأ د/ محمد غلاب حديثه عن السوفسطائيين بذكر سبب ظهورهم، المتمثل في اختلاف الفلاسفة السابقين عليهم حول نشأة الكون، وزعم كل فيلسوف منهم أن ما رآه هو وحده الحق، وكل ما عداه باطل، فجاء السوفسطائيون ورأوا ضرورة أن يدرس الناس العلوم الطبيعية، ليستطيعوا أن يوازنوا بين كل تلك الآراء السابقة موازنة علمية صحيحة.

ومن هنا بدأ السوفسطائيون تعليم الشباب علوم الفصاحة والبلاغة والمناظرة والجدل، فهرع الشباب من كل الطبقات إلى مدارس أولئك الحكماء ودفعوا لها

(١) ينظر: دروس في الفلسفة صـ ٧٦- ٧٨.

الأجور الباهظة، فأغرى المال أساتذة تلك المدارس وجعلهم لا يفكرون في تعويد الطلاب على محاولة نصر الحق أينما كان، وإنما وضعوا نصب أعينهم أن يصيروهم قادرين على الانتصار في مناقشاتهم لا يفرقون فيها بين الصحيح والزائف، وكان ذلك أساسا لبناء السفسطة(١).

ثم يذكر بعد ذلك أن التناقض بين المذاهب السابقة على المدرسة السوفسطائية جعل السوفسطائيون يجمعون على إنكار الحقيقة المطلقة، وعلى الجزم باستحالة الحكم العام، وحملهم على المناداة بأن الحقائق كلها اعتبارية وبأن مقياس كل واحدة منها هو الشخص الذي يدين بها، ويعتبر هذا المبدأ أساس مذهبهم العام(٢).

وهكذا يرى د/ محمد غلاب أن المتاجرة بالعلم في سبيل الحصول على الأموال، وكذلك إنكار الحقيقة المطلقة، والقول بنسبية المعرفة كان المذهب العام والسِّمَة الرئيسية للمدرسة السوفسطائية بجميع رجالاتها.

موقف د/ غلاب من زعماء المدرسة السوفسطائية:

يتحدث د/ محمد غلاب عن زعماء المدرسة السوفسطائية، فيقول في كتابه "تاريخ الفلسفة الإغريقية": «لهذه المدرسة زعماء قد ألف بينهم الشذوذ في آرائهم، وجمع شملهم إنكار الحقيقة المطلقة، أما بعد هذه النقطة فلم يندرجوا تحت راية واحدة تظلهم في كثير من الآراء كالمدارس الأخرى، وإنما هم خليط من المدارس الإغريقية القديمة، وصرحوا بأن الصلة بينهم هي أنهم لا منهاج لهم في فلسفتهم»(٣).

ومن أشهر أعلام المدرسة السوفسطائية الذين انتقدهم د/ غلاب ما يلي:

١- **بروتاجوراس:** يذكر عنه د/ محمد غلاب أنه قد صدر في العناصر الأولى

(١) ينظر: الفلسفة الإغريقية ١/ ١٣٩- ١٤٢.
(٢) ينظر: المصدر السابق ١/ ١٤٥.
(٣) الفلسفة الإغريقية ١/ ١٤٣.

من مذهبه عن مذهب هيراكليت، إلا أنه ألغى منه العقل العام، وهو يرى أن: « كل شيء يقع في الكون من حوادث وظواهر لا ينشأ إلا عن الحركة، بل إن المعرفة البشرية نفسها لا تخرج عن كونها وليدة حركة بين الحاسة والمُحِس، لأن جميع المعارف حسية، وبناء على ذلك إذا تغير أحد المتحركين أي الحاسة والمُحِس لزم على هذا التغير أن تتغير الحركة، وإذا تغيرت الحركة تغيرت نتيجتها وهي المعرفة، وهذا يقتضي أن لا يكون هناك حقيقة مطلقة، ولا علم عام، ولا حكم شامل، بل تكون هناك معارف شخصية تتغير بتغيرات حركات الحواس والمُحِسَّات.

وإذا، فيجب على من يحاول إدراك حقيقة من الحقائق أن لا يتعدى نفسه في إدراك هذه الحقيقة، لأنه في داخلها سيجد كل شيء، ولهذا هو يقول كلمته المشهورة "كل شيء حق"، ومعنى هذا أن الإنسان الذي اعتبر نفسه المقياس الأوحد للحقيقة كان الحق هو ما رآه حقا، والباطل هو ما رآه باطلا بصرف النظر عن كل ما عدا ذلك....، هذا هو رأيه في الأحكام واعتباريتها، ولا شك أنه رأي بفقد العمومية من كل حقيقة»(١).

وهذا التفسير الذي ذكره د/ محمد غلاب لمذهب "بروتاجوراس" لا يخرج عن التصوير الذائع والمشهور الذي ذكره العلماء قبله، وما يترتب عليه من لوازم.

٢- **أما جورجياس:** فيذكر د/ محمد غلاب أنه: «قد صدر في مذهبه عن فكرة "بارمينيد" القائلة بوجود الموجود العام، ثم تناول التعريف الذي وضعه "بارمينيد" لهذا الموجود، وحاول تطبيقه على الموجودات المحسة التي لا يؤمن إلا بها، فألفى هذا التطبيق محالا، لأن موجود بارمينيد ساكن ثابت، بيد أن جميع المحسات متحركة متغيرة، وقد قادته هذه النتيجة إلى الجزم بأن الكائن الذي زعم بارمينيد وجوده غير موجود البتة، وإذا فرض وجوده جدلا كان من المستحيل على أي شخص أن يعرفه، وإذا سلم جدلا أيضا أن شخصا عرفه كان من المستحيل أن

(١) ينظر: المصدر السابق ١/ ١٤٥، ١٤٦.

ينتقل هذا العلم إلى الغير»[1].

وبعد أن يذكر د/ محمد غلاب أدلة "جورجياس" على قضاياة الثلاثة المشهورة، يرى أن مذهب "جورجياس" هو نفس مذهب "بروتاجوراس"، وليس متناقضا معه كما زعم البعض، ويترتب على كلا المذهبين أنه ليس شيء من أحكامنا العامة صحيحا، ففلسفة "جورجياس" تدور جميعها على عدم قدرة الإنسان على معرفة أي شيء في الوجود، وهي بمثابة تطبيق لمقولة "بروتاجوراس": " الإنسان مقياس كل شيء".

وبعد أن ينتهي د/ محمد غلاب نقده لأشهر زعماء المدرسة السوفسطائية، نراه يصدر حكما عاما على المدرسة السوفسطائية، فيقول: «من هذا كله يتضح أن هذه المدرسة مجمعة على إنكار الحقيقة المطلقة وعلى القول بالحقيقة الاعتبارية، وقد بنت هذا الرأي على أساس صح لديها، وهو أن جميع المفاهيم الذهنية التي تكتظ بها رؤوسنا هي وليدة الألفاظ التي تنطق حولنا، ولا شك أن هذه الألفاظ ليست ضربة لازب ولا موضوعة تبعا لقانون طبيعي ثابت، بل هي اصطلاحية متغيرة متطورة باختلاف البيئات والأزمان...، وإذا كان هذا هو كل ما للمفاهيم الذهنية من قيمة، فقد وجب أن لا نحترم هذه المفاهيم الذهنية الواهية الأساس، وأن لا نأبه للكليات المؤلفة منها، وأن لا ينظر كل واحد منا إلا إلى الألفاظ وحدها وما تخلقه في نفسه من أفكار، وأن يصدر حكمه بناء على هذه الأفكار، مؤمنا بأنها ليست متماثلة مع الأفكار القائمة برؤوس الآخرين ما دام هو غيرهم، وهُم غيره.

ولا يخفى أن هذه الفكرة هي منشأ مذهب "اللفظية" أو "الاسمية"، وقد هاجم سقراط هذا الرأي في عنف وأثبت أن المفاهيم ليست وليدة الألفاظ، وإنما هي مدركات ذهنية ثابتة لا تتغير تبعا للكليات، وزاد أفلاطون على ذلك أنها كائنات حقيقية لها وجود ذاتي مستقل عن الأذهان وعن المُحِسَّات، وأنها وُجدت قبلها،

(١) الفلسفة الإغريقية ١/ ١٤٦، ١٤٧.

ويسمى هذا المذهب بالحقيقة»[١].

وهكذا يرى د/ محمد غلاب أن نشأة الاتجاه الاسمي في مشكلة الكليات كانت على يد السوفسطائيين، الذين ذهبوا إلى أن الكليات ليست حاصلة في العقل، ولا متحققة خارج العقل، فما هي إلا مجرد أسماء تطلق على مجموعة من الأفراد الموجودة في الخارج، وذلك على عكس الاتجاه الوجودي أو الواقعي، والذي يرى أصحابه أن الكليات لها وجود حقيقي خارجي أو واقعي، وهو ما ذهب إليه أفلاطون[٢].

ثم يتبع د/ محمد غلاب بعد ذلك الحديث عن أثر تعاليم هذه المدرسة على طلابها، فذكر أنه: «لما استمرت هذه المدرسة في تلقين طلابها هذا الجحود الفادح للحقيقة المطلقة، فقد شجعهم ذلك على الإلحاد الذي كان نتيجة منتظرة لهذه التعاليم، فصرح "كاليكليس"، وهو أحد مشاهير رجال هذه المدرسة المتأخرين بأن فكرة الآلهة ليست من خلق المشرعين ابتدعوها ليرهبوا بها الشعوب والجماهير، فيذعنوا لقوانين، ويخففوا من جرائمهم بعض الشيء.

كما دفعتهم هذه التعاليم أيضا إلى الانسياق في تيار الفوضى الاجتماعية والهمجية الخلقية، فأعلن "كاليكليس" كذلك أن القوانين لم توضع إلا لمن بلغ بهم الضعف حدا يؤهلهم للخضوع لها، وأن أسمى الفضائل هي ما توصل الشخص إلى أغراضه في الحياة وتساعده على انتصاره على خصومه»[٣].

وهكذا كان لتعاليم المدرسة السوفسطائية أثرا سلبيا على الجانب العقدي والأخلاقي والاجتماعي والسياسي عند اليونان كما يرى د/ محمد غلاب.

٤، ٥- د/ أحمد أمين، ود/ زكي نجيب محمود:

(١) الفلسفة الإغريقية ١/ ١٤٧، ١٤٨.
(٢) ينظر: المعجم الفلسفي جميل صليبا ١/ ٨٣، والمعجم الفلسفي د/ مراد وهبة صـ ٦٧٧.
(٣) الفلسفة الإغريقية ١/ ١٥٠.

يبدأ "د/ أحمد أمين"، و "د/ زكي نجيب محمود"، حديثهما عن السوفسطائيين بذكر الجانب الإيجابي في فلسفة السوفسطائيين، بالاعتراف بأنهم كانوا سببا في انصراف الفلسفة إلى البحث في الإنسان بعد أن كانت تبحث في الطبيعة، وأنهم لم يخلقوا فلسفتهم من عدم، بل انتزعوها من بيئتهم، فجاءوا صورة دقيقة لعصرهم، ولسانا ناطقا يعبر عما كان يخالج النفوس في ذلك الحين، وكان غرضهم تعليم اليونانيين ليكونوا مواطنين صالحين للحياة وشغل المناصب السياسية، وذلك عن طريق تعلُّم علم البلاغة والإلقاء والقدرة على الجدال والمناظرة.

فهم من غير شك نشروا التعليم في بلاد اليونان، وهيَّجوا الأفكار للبحث والمناقشة في أساس الأخلاق، فمهدوا الطريق لتعاليم سقراط وأفلاطون، وأسسوا علم البلاغة، ووجهوا اهتمام الناس إليه، وكان لتعاليمهم أثر مختلف في عقول الباحثين في العصور المختلفة، ومهما قال الناقدون في فلسفة السوفسطائيين، فلا سبيل إلى إنكار هذه الحقيقة، وهي أن عصرهم كان عصر نهضة فكرية كهذه النهضات التي تجيء في التاريخ على فترات متباعدة، والتي يظهر أنها تتبع عهودا تنشط فيها الفلسفة والعلوم...، ولقد شهدت انجلترا وفرنسا في أوائل القرن الثامن عشر نهضة فكرية كما بينا[1].

هذا هو الجانب الإيجابي عند المدرسة السوفسطائية، لكن على الرغم من ذلك إلا أن تعليمهم لم يكن بقصد خدمة الحقيقة، بل كان المقصود التغلب على الخصم إما بفكرة صحيحة أو بلعب بالألفاظ، ولذا يقول د/ أحمد أمين ود/ زكي نجيب محمود في كتابهما "قصة الفلسفة اليونانية":« لذلك كان من أهم تعاليمهم علم البلاغة، وهم يُعدُّون بحق مؤسسي هذا العلم، وكان ذلك يكون محمودا لو أنهم وقفوا موقفا صحيحا في تعليم البلاغة، وخدموا بها الحقيقة حيث كانت، ولكنهم قصدوا إلى تعليم الشباب كيف يخدمون الفكرة كائنة ما كانت، وعلي أي وجه كان،

(1) ينظر: قصة الفلسفة اليونانية صـ ٩٠- ١٠٢.

بالحق أو بالباطل، فكان شأنهم شأن محام يخدم قضيته من أي سبيل...، لذلك كانوا يعلمون كيف يكسبون خصومهم بكل الوسائل، باللعب بالألفاظ، بالاستعارات والكنايات الجذابة، بخداع المنطق وتمويه الحقيقة، ومن أجل ذلك سمي اللعب بالألفاظ والتهريج في الحجج سفسطة اشتقاقا من السوفسطائيين»[١].

فهما يرون أن السوفسطائيين قد اتجهوا بعنايتهم إلى الحياة العملية دون الفلسفة النظرية التي تبحث عن الحقيقة الخالدة، وانصرفوا إلى تدريب الشبان لنيل مجد الحياة السياسية من أخصر الطرق، علي أي وجه كان، بالحق أو بالباطل.

وفي موضع آخر يذكر د/ أحمد أمين ود/ زكي نجيب محمود أن الفلسفة العملية البراجماتية السائدة اليوم قريبة الشبه جدا بتعاليم السوفسطائيين، ولسنا نخطئ إذا قلنا أنها سوفسطائية العصر الحديث، التي تحاول أن تتخذ من الإنسام مقياسا لكل شيء، وكل الفرق بينها وبين سوفسطائية بروتاجوراس هو فرق في معنى الإنسان، فكان بروتاجوراس يعني به الفرد، ومذهب البراجماتزم اليوم يريد به الإنسانية كلها، وموضع الخطأ عند بروتاجوراس قديما، وفي مذهب البراجماتزم حديثا، هو الاعتماد على حواس الإنسان[٢].

وهكذا يربط د/ أحمد أمين ود/ زكي نجيب محمود بين النزعة السوفسطائية قديما وبين المذهب البراجماتي في العصر الحديث، وقد ذكر "برتراند رسل" في كتابه "تاريخ الفلسفة الغربية" هذا الأمر قائلا:« أن أحد المؤسسين الثلاثة لمذهب البراجماتية، وهو ف. س. شلر، كان من عادته أن يقول عن نفسه إنه تلميذ لبروتاجوراس، وأظن أن مرجع هذا هو أن أفلاطون في محاورة تيتاتيتوس يقترح تفسيرا لمذهب بروتاجوراس أن تكون فكرة أفضل من فكرة، ولو أن الفكرة لا تكون أصدق من فكرة أخرى...، وواضح أن هذا الرأي شبيه بوجهة نظر البراجماتية»[٣].

(١) قصة الفلسفة اليونانية صـ ٩٤.
(٢) ينظر: المصدر السابق صـ ١٠٢، ١٠٣.
(٣) تاريخ الفلسفة الغربية١/ ١٤٣، ١٤٤.

موقف د/ أحمد أمين ود/ زكي نجيب محمود من شخصيات الفكر السوفسطائي:

لقد تعرض د/ أحمد أمين، و د/ زكي نجيب محمود لشخصيتين فقط من أشهر شخصيات الفكر السوفسطائي، وهما "بروتاجوراس"، و"جورجياس".

أما عن بروتاجوراس: فالمحور الذي دارات حوله فلسفته، هو عبارته المشهورة "الإنسان مقياس كل شيء"، وقد قام د/ أحمد أمين ود/ زكي نجيب محمود بشرح هذه العبارة قائلين: «فبروتاجوراس كان يعلم أن ليس هناك وجود خارجي مستقل عما في أذهاننا، فما يظهر للشخص أنه الحقيقة يكون هو الحقيقة له، فإذا اختلفنا في رؤية شيء، فما أراه أنا حق بالنسبة لي وما تراه أنت حق بالنسبة لك، واستمر "بروتاجوراس" في نظريته فقال: ليس هناك خطأ، بل مستحيل وجود الخطأ، فكل ما تراه صواب لك، بل لفظنا الخطأ والصواب لا معنى لهما، فليس هناك شيء يسمى حقا في ذاته أو في الواقع أو نحو ذلك، ويظهر أن الذي دعا "بروتاجوراس" إلى هذا أنه رأى أن المعلومات التي تصل إليه إنما تصل من طريق الحواس، وإدراك الحواس مختلف عند الناس، فلا يمكن الاعتماد عليها لإدراك أن هناك شيئا حقا خارجيا في الواقع»(١).

فموضع الخطأ عند "بروتاجوراس" هو الاعتماد على حواس الإنسان- مع أن حواسه خاصة به- وتجاهل الاعتماد على الجانب العقلي منه- مع أنه العنصر الذي يشترك فيه أفراد البشر جميعا.

وأما جورجياس: فيذكر د/ أحمد أمين، و د/ زكي نجيب محمود، أنه قد وضع كتابا عنوانه "الطبيعة" أو "اللاوجود" حاول فيه أن يقيم الدليل على هذه القضايا الثلاث "لا شيء موجود"، "إن وُجد شيء فلا يمكن أن يُعرف"، "وإذا أمكن أن يعرف فلا يمكن إيصاله إلى الغير".

(١) قصة الفلسفة اليونانية صـ ٩٧، ٩٨.

أما القضية الأولى: التي تقرر أن لا شيء موجود، فقد تابع فيها الفلاسفة الإيليين الذين أنكروا وجود الأشياء التي تقع تحت الحواس، والذين أثبتوا أن صفة الوجود وحدها هي الموجودة، أما كل هذه الأشياء التي تملأ جوانب الكون والتي تطرأ عليها الحركة والتغير فباطلة خدعتنا بها الحواس.

وأما القضية الثانية: التي تقرر أنه حتى لو فرضنا وجود شيء فلا تمكن معرفته، فهي نتيجة لازمة لعقيدة السوفسطائيين في اعتماد تحصيل المعرفة على الحواس وحدها دون العقل، وترتيب المعرفة على الحواس يؤيد أيضا قضية جورجياس الثالثة، لأن ما يصل عن طريق الحس لا يمكن نقله إلى شخص آخر(١).

وبناء على هذه التعاليم السابقة فلا يمكن أن يكون هناك قانون خارجي أخلاقي عام يخضع له الناس جميعا، وليس هناك قانون عام مؤسس على العدالة، وذلك بسبب تطبيق السوفسطائيين معيار "نسبية المعرفة" على القيم الأخلاقية، وقوانين العدالة.

ولذلك نجد "د/ أحمد أمين"، و"د/ زكي نجيب محمود" يصفان تعاليم السوفسطائيين بأنها: «تعاليم هدامة لكل نظام اجتماعي، للدين، للأخلاق، لكل نظم الدولة، ومن ثم كانوا مثار لسخط من أتى بعدهم من الفلاسفة، وموضعا لانتقادهم وهدم تعاليمهم...، وتعاليمهم هذه هي السبب في أن ليس لهم تعاليم فلسفية إيجابية، فقد قنعوا بأن ليس هناك حقيقة، وإن وجدت فليس من سبيل إلى اكتشافها، ولهذا خصصوا أنفسهم للبلاغة وللسياسة، وقالوا إن لم تكن هناك حقيقة تعرف وتعلم، فأمامنا باب الاستمالة والتأثير في الناس، وإن لم يكن حق وباطل في ذاتهما، فهناك طريق للإقناع، وهذا هو الطريق الذي سلكوه، طريق البلاغة»(٢).

(١) المصدر السابق صـ ٩٨، ٩٩.
(٢) قصة الفلسفة اليونانية صـ ١٠٠.

وفي نهاية حديثهما عن السوفسطائيين، وبعد هذا النقد الذي تم توجيهه إليهم، نجد أنهم لا يغفلون الحديث عن التذكير بما قدمه السوفسطائيون من خدمة للفكر الفلسفي، مع الاعتراف بخطأهم في بعض القضايا، فيقولان: «فلئن كنا ندين للسوفسطائيين حقا بالإكبار من شخصية الفرد، والمطالبة ألا تفرض عليه الآراء والعقائد فرضا، بل يقنع بها إقناعا، فلا نذهب معهم إلى حد إهمال الحقيقة الخارجية مستقلة عن الإنسان، ولئن كنا نذهب معهم فيما ذهبوا إليه من أن لكل إنسان الحرية في الرأي واعتقاد ما يرى، فنحن نضيف إلى ذلك شرطا وهو: أنه لا يجوز لفرد أن يرى رأيا إلا إذا قام عليه الدليل العقلي دون إحساسه وشعوره، وإن كنا نوافقهم في أن الأخلاق تختلف باختلاف الشعوب، إلا أننا لا نخلص من هذه المقدمة إلى النتيجة التي خلصوا إليها، من أنه ليس هناك معيار خلقي حق في ذاته...، فإن أجازت أمة البغاء وحرمته أخرى، وإن أجاز المصريون القدماء زواج الأخت وحرمه غيرهم، فليس ذلك دليلا على أن الإنسان مقياس الأخلاق وأن ليس هناك حقيقة خلقية ثابتة في ذاتها»[1].

وهكذا نرى أنه على الرغم من هذا النقد الذي تم توجيهه من قبل د/ أحمد أمين، و د/ زكي نجيب محمود إلى الفكر السوفسطائي، إلا أن نقدهما ليس بحدة النقد الموجه إليهم من قبل مفكرين آخرين، بل ويمكن اعتبار موقفهم من الفكر السوفسطائي موقفا وسطا بين الموقف الناقد والموقف المدافع، فهم لم ينكروا أن لهم جهودا مشكورة في خدمة الفلسفة اليونانية، وفي المقابل لم ينكروا أن لهم أخطاء فكرية فادحة.

٦- د/ محمد علي أبو ريان:

يبدأ د/ محمد علي أبو ريان حديثه عن الفكر السوفسطائي بذكر أنهم كانوا سببا في توجيه النظر إلى البحث في الإنسان بعد أن كان يتجه إلى دراسة الطبيعة

(١) ينظر: المصدر السابق صـ ١٠٣، ١٠٤.

وظواهرها، ونظرا لأن الديموقراطية قد بلغت أزهى عصورها في عصر السوفسطائيين، وكان لابد للسياسي من أن يتصف بالقدرة على الجدل والمناقشة، ومنازلة الخصوم والدفاع عن الآراء صحيحها وكاذبها، فقد أحس السوفسطائيون بأنهم أجدر الناس بتعليم هذه الصناعة، فتولوا مهمة تدريب الشباب على الجدل لإعدادهم للعمل السياسي، وذلك نظور أجور تختلف بحسب أصل المتعلم وثرائه.

وعلى الرغم من أن السوفسطائيين قد اتجهوا إلى دراسة الإنسان مثلهم مثل سقراط، لكنهم اختلفوا عن سقراط في أنهم عالجوا الموضوع من ناحية خاصة تقوم على افتراض النسبية في المعرفة، فقد بدأ السوفسطائيون منهجهم بالتشكيك في المعارف الحسية، وفي موضوعات الحس، فهم يرون أن الحس خادع، إذ أنه يصور لنا الحق باطلا والباطل حقا، ومن ثم فقد انهار الطريق الأساسي للمعرفة الذي قامت على أساسه الفلسفات الطبيعية قبل عهد سقراط.

ويقارن د/ محمد علي أبو ريان بين موقف الفلاسفة الطبيعيين في اتجاههم نحو البحث عن الحقيقة لذاتها، بقطع النظر عما يحصلون عليه من نفع مادي، وبين موقف السوفسطائين الذين كانت تعاليمهم تستهدف سيطرة الفرد على الحياة، وذلك لمنفته الشخصية، إذ الغاية عندهم عملية نفعية بحتة(١).

وكان السوفسطائيون يوجهون أنظارهم إلى النبلاء من الشباب يعلمونهم الخطابة ووسائل التغلب السياسي، والبراعة في منازلة الخصوم، وذلك لقاء أجور نقدية، مما أثار عليهم تهكم أفلاطون، الذي لم يكن يتقاضى أجورا على تعليم تلامذته، وكانوا يعلمون الشباب العلوم التي تؤهلهم إلى إفحام الخصوم لا للوصول إلى الحق، وذلك عن طريق التلاعب بالألفاظ، واستخدام فن الجدل.

وبعد أن كان الفكر في عهد الفلاسفة الطبيعيين يتجه إلى التزام الموضوعية الكاملة، فقد أحل السفسطائيون محل هذه الموضوعية فكرة النسبية، ولا سيما في

(١) ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي- الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون صـ ٩١- ٩٣.

ميدان المعرفة والأخلاق، واعتبروا القوانين والعادات والتقاليد نسبية، أي أنها إذا كانت تصلح لشعب معين فإنها لن تستقيم في شعب آخر[١].

موقف د/ محمد علي أبو ريان من أشهر شخصيات الفكر السوفسطائي:

١- بروتاجوراس: يعتبره د/ محمد علي أبو ريان أشهر شخصية سوفسطائية، وعبارته المشهورة الإنسان مقياس الأشياء جميعا، «وإذا فصلنا هذا القول لبروتاغوراس، وجدنا أنه يتضمن دعوى خطيرة، إذ أنه ينقل مشكلة المعرفة من الموضوع إلى الذات العارفة، وذلك بعد أن كان قدماء الفلاسفة من الطبيعيين يتكلمون عن موضوع خارجي وعن وجود طبيعي أي عالم خارجي على وجه العموم، لا عن موضوع ماثل أمام الذهن أو عن ذهن يدرك موضوعا...، على أنه من الواضح أن اهتمام السفسطائيين كان موجها إلى الجدل وإلى مشكلة المعرفة على وجه العموم، وبروتاجوراس هو القائل بأن القوانين والعادات والأخلاق نسبية، وأن معيار الصحة لهذه النظم والقوانين هو المجتمع الذي تطبق فيه...، كذلك هؤلاء الذين يقيمون العدالة لا يستطيعون أن يقولوا أن هناك أساسا مطلقا للعدالة، فالعدالة كالأخلاق نسبية...، وكذلك فإن الدين ليس مطلقا»[٢].

وهكذا فإن عبارة بروتاجوراس يفهم منها نسبية المعرفة، ويمتد أثرها لتشمل الأخلاق والقوانين والعادات والدين، فكلها مفاهيم نسبية.

٢- جورجياس: يذكر أنه وضع كتابا عنوانه اللاوجود أو الطبيعة وقد ضمنه ثلاث قضايا رئيسية:

١- لا يوجد شيء على الإطلاق.

٢- وحتى إذا وجد شيء فلا يمكن معرفته.

(١) ينظر: المرجع السابق صـ ٩٤.
(٢) ينظر: المرجع السابق ٩٤- ٩٦.

٣- وحتى إذا عرف الشيء فلا يمكن إيصال هذه المعرفة إلى الآخرين لأنها معرفة نسبية.

وبعد أن وضع جورجياس آراءه هجر الفلسفة الطبيعية واتجه إلى السفسطائيين يعلم الجدل مثلهم، ويخطب في الناس مبينا لهم كيف أن جميع الفضائل، وكذلك سائر الموجودات نسبية وغير مطلقة[١].

وفي نهاية حديثه عن السوفسطائيين يرى د/ محد علي أبو ريان أنه كان للسوفسطائيين أكبر الفضل في توجيه الفكر إلى الإنسان وإلى تعليم الصغار، أما ما أثاروه من شك في قيمة الدين والمعتقدات والمعرفة، فقد كان سببا في قيام علم المعرفة والأخلاق، وسنرى كيف تصدى سقراط لمعلمي البيان الأثينيين، لكي يقيم دعائم الأخلاق ويعيد بناء المعرفة الإنسانية عن طريق وضع التعريفات[٢].

هذا هو موقف الاتجاه الناقد للفكر السوفسطائي من مفكري العرب المحدثين الذين أرخوا للفلسفة اليونانية، وقد ارتكز نقدهم على مجموعة من الأسس من أهمها متاجرتهم بالعلم في سبيل الحصول على الأموال، واستخدام أسلوب الجدل والمغالطة في التعليم، وكذلك قولهم بنسبية الحقيقة الذي يؤدي إلى إنكار الحقيقة المطلقة، وقد انسحب ذلك على الأخلاق والقيم والدين والسياسة، ولذلك كانوا سببا في إذاعة الشك والإلحاد في الفكر اليوناني، ولا شك أن هذا الاتجاه متأثر بالقراءة الأفلاطونية النقدية للفكر السوفسطائي التي استمرت على مدار قرون متعاقبة، لكنهم في الوقت ذاته قد أضافوا وجوها أخرى للنقد لم تكن موجودة عند أفلاطون.

(١) ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي- الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون صـ ٩٧.
(٢) المرجع السابق صـ ٩٨.

المبحث الثاني

الاتجاه المدافع عن الفكر السوفسطائي

لقد ذكر بعضا من مفكري العرب المحدثين المؤرخين للفلسفة اليونانية أنه منذ القرن التاسع عشر بدأت تتغير وجهة النظر بعض الشيء تجاه الفكر السوفسطائي، فقد ارتفع "هيجل[١]" بالنزعة السوفسطائية ارتفاعا كبيرا، وذلك في كتابه "تاريخ الفلسفة"، وجعلها لحظة أساسية من لحظات تطور الفلسفة عند اليونان، وسرعان ما عاد المؤرخون بعد "هيجل" إلى النظرة القديمة التي تعتبر السوفسطائيون نزعة هدامة في تاريخ الفكر الفلسفي، لكن في أوائل القرن العشرين بدأ الناس يعودون مرة أخرى إلى نظرة "هيجل" في السوفسطائية، وبدأت صفة جديدة تنسب إليهم، هي صفة "التنوير".

وكان العامل الأساسي في تغيير وجهة النظر الأولى كما يقول د/ عبدالرحمن بدوي: «هو قيام فلسفة الحضارة، واتجاه الناس إلى البحث فيها اتجاها قويا، فقد بدا لهم على أثر ذلك أن السوفسطائيين من الناحية الحضارية لحظة مهمة في تاريخ اليونان الروحي الحضاري، وكان من أول الممثلين لهذه النظرة الجديدة "تيودور جومبرتس" ثم ابنه "هينرش"، ثم لم تلبث هذه النظرة الجديدة إلى السوفسطائية أن اتسعت ووجدت صدى لدى كل المؤرخين المجددين للفلسفة اليونانية»[٢].

وكذلك كان الحال عند مفكري العرب المحدثين المؤرخين للفلسفة اليونانية، حيث وجدنا فريقا منهم وقف مدافعا عن كثير من مبادئ هذا الفكر، **وأبرز من**

---

(١) جورج فلهلم هيجل(١٧٧٠-١٨٣١م): ولد في شتوتجارت بألمانيا، كان له تأثير كبير علي مدارس فلسفية كبيرة في أوروبا مثل الماركسية والوجودية والبرجماتية، وقد انتشرت الهيجيلية في ألمانيا حتي كادت أن تصبح العقيدة الرسمية للدولة، ومن كتبه فلسفة القانون، موسوعة العلوم الفلسفية، المنطق ينظر: كتاب العقل في التاريخ صـ١٧، تأليف: جورج هيجل، ترجمة وتعليق: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير ، ط٣، ٢٠٠٧م.

(٢) موسوعة الفلسفة صـ ٥٨٧.

يمثل هذا الاتجاه من مفكري العرب ما يلي:

١- د/ عبد الرحمن بدوي:

يعد المفكر عبد الرحمن بدوي من أكثر المهتمين بالفلسفة إنتاجا، ومن أكثرهم معرفة بثقافات الشعوب ولغاتها، وذلك من خلال تأريخه الطويل للفلسفة، تأليفا وتحقيقا وترجمة.

ويعد موقف د/ عبدالرحمن بدوي من السوفسطائيين موقفا دفاعيا إلى درجة كبيرة، وذلك لأنهم- من وجهة نظره- اهتموا بالإنسان وجعلوه مقياس الوجود والخير والجمال، لهذا فالنزعة السوفسطائية عنده تعتبر نزعة تنويرية، وفترة مهمة من فترات التطور الروحي عند اليونان.

يبدأ د/ عبدالرحمن بدوي حديثه عن السوفسطائية بفصل تحت عنوان "عصر التنوير" قائلا: « لعل تيارا من التيارات الفلسفية لم يصادف من الاختلاف في تقديره مثلما صادف تيار النزعة السوفسطائية، خصوصا فيما يتصل بمركز السوفسطائية في داخل التفكير الفلسفي العلمي، وأول ما نشاهد هذا الاختلاف في العصر القديم نفسه، إذ نجد أفلاطون يحمل على السوفسطائية حملة عنيفة شعواء، ونلاحظ أن هذه الحملة كانت منصبة بوجه عام على آرائهم في السياسة والأخلاق، لا على آرائهم العلمية»(١).

ونحن -من وجهة نظرنا- نسجل اعتراضا على ما ذكره د/ بدوي، هذا الاعتراض مفاده أن حملة أفلاطون على السوفسطائيين لم تكن منصبة بوجه عام على آرائهم في السياسة والأخلاق، بل كانت حملته في الأساس منصبة على آرائهم العلمية والمعرفية في المقام الأول، فهم يدَّعون عدم كفاية الوسائل المعرفية- كالعقل مثلا- لإدراك ما هو خارج الحس، ولذلك فإن آرائهم في السياسة والأخلاق

(١) ربيع الفكر اليوناني صـ ١٦٥، تأليف: د/ عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، بدون تاريخ، وينظر: موسوعة الفلسفة صـ ٥٨٦.

نتيجة لآرائهم العلمية والمعرفية، فنقد أفلاطون للسوفسطائية تمثل بجملة من المسائل، وهي موقفها من التعليم والمعرفة، وموقفها من القيم الأخلاقية، بالإضافة إلى موقفها السياسي.

وبعد أن يذكر د/ عبدالرحمن بدوي هذا الاختلاف في تقدير الفكر السوفسطائي في العصر القديم والحديث، نراه يقول: «والواقع أنه لا بد لنا إذا أردنا فهم النزعة السوفسطائية، أن نضعها في وضعها الصحيح داخل التطور الروحي عند اليونان، وأن نبين أن هذه النزعة كانت لحظة ضرورية لا بد منها في تطور الروح اليونانية نحو إدراكها لذاتها إدراكا تاما كليا حتى بلغت أوج هذا الشعور عند أفلاطون وأرسطو، ولم تكن إذن ظاهرة ثانوية أو خارجة عن التطور»[1].

ثم بعد ذلك يذكر د/ بدوي الدور الذي قامت به النزعة السوفسطائية، والذي كان سببا في تطور الروح اليونانية، **ويمكن اجمال ذلك الدور في عدة نقاط:**

١-جاءت النزعة السوفسطائية استجابة للحالة السياسية التي كانت تقتضي بإيجاد طبقة من الناس تعلم كل من يريد الوصول إلى قيادة الدولة، عن طريق الخطابة والقدرة على التأثير في الناس، وتعلم الفضائل التي لابد منها، فمهمة السوفسطائين على حد تعبيره "إيجاد طبقة من القادة تستطيع تسيير أمور الدولة".

٢- إدخال العنصر الإنساني بكل ما له من خصائص، إلى جانب الطبيعة الخارجية، بل والارتفاع بالإنسان فوق الطبيعة ارتفاعا تاما، وأن يكون هو مقياس الطبيعة بدلا مما كانوا يفعلون من قبل حين جعلوا الطبيعة مقياس الإنسان.

٣- الثورة على المعتقدات الشعبية التي يتمثل فيها هذا الميل إلى القول بوجود الخوارق والأساطير.

٤- كما أنها نزعة تنويرية تؤمن بالتقدم المستمر نحو الغاية الأصلية للإنسانية،

(١) ربيع الفكر اليوناني صـ ١٦٦، موسوعة الفلسفة صـ ٥٨٦، ٥٨٧.

والدعوة إلى الحرية الفردية في الفن والأخلاق[١].

موقف د/ عبدالرحمن بدوي من شخصيات الفكر السوفسطائي:

من أشهر الشخصيات السوفسطائية التي تعرض لها د/عبدالرحمن بدوي شخصيتي "بروتاجوراس"، و"جورجياس".

أما عن بروتاجوراس: فقد تعرض د/ عبدالرحمن بدوي لعبارته المشهورة "الإنسان مقياس كل شيء" متسائلا: «ماذا يقصد بروتاغوراس من قوله الإنسان هنا، هل يقصد به كل فرد على حدة، وتبعا لهذا تكون الحقيقة مختلفة باختلاف الأفراد الواحد عن الآخر؟، أم يقصد بالإنسان الإنسانية، وتبعا لهذا يكون الإنسان مقياس الحقائق بمعنى أن الحقائق من وضع عقولنا نحن، وأن ليس لها وجود حقيقي في الخارج بمعنى الأشياء في ذاتها فهذا فوق نطاق العقل؟.

ويجيب د/ عبدالرحمن بدوي عن هذا التساؤل قائلا: الواقع أن الاختلاف بين هذين التفسيرين عند المؤرخين كبير، فمنهم من يقول بالتفسير الأول، وهو أن "بروتاغوراس" لم يكن يقصد من الإنسان غير الأفراد الذين تتكون منهم الإنسانية، وعلى هذا فالحقائق مختلفة بالنسبة لكل فرد على حدة، ومن أنصار هذا الرأي "انسلر"، وهو يعتمد في هذا اعتمادا كبيرا على أفلاطون وكيفية سرده لمذاهب السوفسطائيين، أما الرأي الثاني فهو قول أكثر المؤرخين الذين جاءوا بعد "انسلر" كما أنه رأي "جوزيه سئيتا"، ونظن نحن أن هذا الرأي الثاني هو أرجح الرأيين»[٢].

وهكذا نجد د/ عبدالرحمن بدوي من أشد المنافحين عن تأويل لفظ الإنسان في مقولة "بروتاغوراس" بوصفه دالًّا على النوع لا الفرد، ولذا فهو يرجح القول الذي يدفع تهمة نسبية المعرفة على عبارة "بروتاغوراس"، فهو يشكك في حقيقة القول بنسبية المعرفة لدى السوفسطائيين، فالمقصود بالإنسان هو الإنسان بمعناه الكلي،

(١) ينظر: ربيع الفكر اليوناني ١٦٦- ١٧٦.
(٢) المصدر السابق صـ ١٧٦.

وتكون الحقيقة كلية ليس لها وجود حقيقي في الخارج، وإنما هي من وضع عقولنا، فما يبدو للبشر إن رأوه موجودا فهو موجود وإن رأوه غير موجود فهو غير موجود .

وأما عن موقفه من جورجياس: فيقول د/ عبدالرحمن بدوي:« ننتقل بعد هذا إلى جورجياس، فنجد أنه قد عرض مذهبه في كتاب كتبه عن الطبيعة، أو اللاوجود، فقال فيه بقضايا ثلاث: الأولى: أنه لا شيء، والثانية: أنه حتى لو وجد شيء، فإن هذا الشيء لا يمكن أن يدرك، والثالثة: حتى لو أمكن إدراكه فإنه لا يمكن أن يعبر عنه ويوصل إلى الغير، ويسوق لتأييد هذه القضايا حججا كثيرة، وهو في هذا متأثر بالإيليين وخصوصا بطريقة زينون في المحاجة....، وعلى الرغم مما في هذه الحجج من مماحكات جدلية لفظية ، فإنه يُلاحظ أنها قد ابتدأت– وخصوصا في القضية الأولى– من مذاهب سابقة أظهرها مذهب الإيليين في الوجود، كما أنها تأثرت بحجج زينون مما يمكن مشاهدته بوضوح إذا نظرنا إلى الطريقة التي أُورِدت بها هذه الحجج»(١).

وفي نهاية حديثه عن السوفسطائيين نجده يصدر حكما عاما على السوفسطائيين، فيقول: « وعلى كل حال فإننا نستطيع أن نقول إن الغرض الأصلي الذي أراد السوفسطائيون أن يصلوا إليه من هذا هو أن يقضوا على العلم كما وصل، لا على العلم بوجه عام، ومن هنا يجب أن نفهم شكهم على أنه هدام من أجل البناء، وليس شكا هداما من أجل الإفناء، وبهذا يكون شكهم مختلفا عن شك الشكاك في العصور المتأخرة»(٢).

كما حاول د/ عبدالرحمن بدوي أن يثبت أن هناك كثيرا من الشبه بين النزعة

(١) يراجع: ربيع الفكر اليوناني صـ ١٧٦- ١٧٩.
(٢) المصدر السابق صـ ١٧٩، ويرى كثير من العلماء أن الشك الذي أتى به السوفسطائيون كان شكا هداما، ترك أثره على مدارس الشك في الفلسفة اليونانية في العصر الهيلنستي، وعند الفلسفة المسيحية، بل وفي فلسفة الفلاسفة المنتسبين للإسلام ينظر: السفسطائية وأثرها في نشأة مدارس الشك، د/ عبدالرحمن بن غالب عواجي ٢٠١٧م.

السوفسطائية وبين عصر النهضة، **ويمكن إجمال أوجه الشبه بينهما في عدة أمور:**

١- أن نزعة عصر النهضة تسمى نزعة إنسانية لأنها أرجعت المعايير للإنسان واحتفلت له احتفالا شديدا، وكذلك فعل السوفسطائيون، إذ نقلوا البحث من الطبيعة الخارجية إلى الإنسان، وأرجعوا مصادر القيم إلى الإنسان.

٢- عناية رجال عصر النهضة بالآثار الأدبية القديمة، وكذلك اعتنى السوفسطائيين بالآثار الأدبية اليونانية القديمة، ولذا اهتموا بالخطابة والنثر.

٣- أنه إذا كانت حركة السوفسطائيين مقدمة لعصر قيام المذاهب الفلسفية الشامخة في بلاد اليونان، فكذلك الحال في عصر النهضة الذي كان مقدمة لقيام المذاهب الفلسفية الشامخة في الحضارة الأوربية(١).

بل لقد حاول د/ عبد الرحمن بدوي أن يثبت وجود شبه كبير جدا بين حركة السوفسطائيين في القرن الخامس قبل الميلاد، وبين عصر التنوير في الحضارة الأوربية في القرن الثامن عشر، فهذين القرنين يتصفان بصفات متشابهة، وهذه الصفات تتلخص في كلمة واحدة هي: التنوير.

فخصائص نزعة التنوير هي أولا: الإيمان بالتقدم المستمر نحو الغاية الأصلية للإنسانية، **وثانيا:** جعل العقل الحكم المطلق في كل شيء، **وثالثا:** إخضاع كل العقائد والتقاليد الموروثة لحكم العقل، **ورابعا:** النزعة الفردية التي تجعل من الفرد من حيث حريته واستقلاله الأساس لكل تقويم...، وهذه الخصائص كلها نجدها واضحة في كلا القرنين، مما يدفعنا إلى القول بأن قرن السوفسطائية هو قرن التنوير في الحضارة اليونانية(٢).

(١) ينظر: ربيع الفكر اليوناني صـ ١٧٩، ١٨٠.
(٢) ينظر: المصدر السابق صـ ١٨٠.

هذه كانت نظرة د/ عبدالرحمن بدوي وهكذا كان موقفه من الفكر السوفسطائي، وقد تأثر بعض مفكري العرب المحدثين في القرن العشرين بهذا الموقف الدفاعي الذي تبناه د/ عبدالرحمن بدوي، ومنهم د/ محمد عبدالرحمن مرحبا، د/ أميرة حلمي مطر، د/ مصطفى النشار.

٢- د/ محمد عبدالرحمن مرحبا:

تعرض د/ محمد عبدالرحمن مرحبا للحديث عن الفكر السوفسطائي في كثير من مؤلفاته ومنها: "من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية"، و" مع الفلسفة اليونانية"، و"تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلنستية".

ويبدأ حديثه عن الفلاسفة الطبيعيين الباحثين في أصل الكون وطبيعته، وكيف أن بحثهم كان متجها نحو العالم الخارجي، بعيدين كل البعد عن البحث في العالم الداخلي، عالم الذات، ثم لما حصلت لليونان ثروة لا يستهان بها من المعرفة بالعالم الطبيعي، انتقل محور الدراسة بعد ذلك إلى الإنسان، وهذا ما مهَّد له السوفسطائيون، وتم على يد سقراط، ثم استخلص كل نتائجه أفلاطون وأرسطو، وهكذا تحول السوفسطائيون عن الفلسفات الطبيعية إلى دراسة الإنسان لعلهم يجدون فيه غنى وكفاية، فالعالم الخارجي لا يكفي وحده لدراسة الحقيقة، وإنما يجب أن ينضم إليه أيضا عالم الذات [١].

فالسوفسطائية ليست حركة سلبية كما يعتقد الكثيرون ممن يحكمون على الأشياء بظواهرها، وإنما هي مشروع إيجابي خصب، وليس صحيحا ما يقوله "شيشرون" من أن سقراط هو الذي أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، بل السوفسطائيون هم الذين أنزلوها قبله، وبهذا المعنى لا يعدو سقراط أن يكون تلميذا

(١) ينظر: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية صـ ٨٦- ٨٩، تأليف: د/ محمد عبدالرحمن مرحبا، دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت- لبنان ٢٠٠٧م، و مع الفلسفة اليونانية صـ ٨٦- ٨٩، تأليف: د/ محمد عبدالرحمن مرحبا، دار منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٨٨.

للسوفسطائيين، ولكنه كان – بمعنى من المعاني– تلميذا عاقا، وهنا مناط العبقرية فيه.

ومن أكثر الصفات التي وصف بها د/ محمد مرحبا الحركة السوفسطائية هي صفة "التنوير"، فالسوفسطائية حركة تنويرية إنسانية نشأت نتيجة لتغيرات سياسية واجتماعية وروحية مرت بها بلاد اليونان في أواخر القرن السادس وبداية القرن الخامس قبل الميلاد، والسوفسطائية هي نزعة التنوير عند اليونان، لا تقل عن أي نزعة تنويرية وجدت في الحضارات الأخرى، ولا سيما الحضارة الغربية في القرن الثامن عشر، إنها نزعة تنويرية حقيقية للفكر اليوناني لم يستطع حتى اليونان أنفسهم استيعابها، بل لقد ظنوها عملا سلبيا تخريبيا يجب القضاء عليه في المهد، وهذا ما قام به سقراط وأفلاطون وأرسطو، وقد نجحوا في هذا السبيل لسوء الحظ نجاحا كبيرا، وظل الأمر كذلك حتى القرن التاسع عشر، وعندها بدأت دراسة السوفسطائية من جديد، وأعيد النظر في كل ما صدر عليها من أحكام ظالمة متسرعة(١).

موقف د/ مرحبا من شخصية بروتاغوراس:

يتحدث د/ محمد مرحبا عن "بروتاغوراس" قائلا: «وأعظم من يمثل هذا الاتجاه الإنساني الجديد في الفلسفة اليونانية بروتاغوراس (المتوفى سنة ٤١١ق.م) في عبارته المشهورة "الإنسان مقياس كل شيء"، فليست الأشياء مقياس ذاتها، وإنما مقياسها هو الإنسان، بمعنى أن مقاييس الأشياء والسلوك ليست مطلقة مستقلة عن الإنسان، وإنما مقياسها هو الإنسان، بمعنى أن مقاييس الأشياء والسلوك ليست مطلقة مستقلة عن الإنسان، وإنما هي نسبية متغيرة تختلف باختلاف الزمان والمكان وظروف البيئة والتربية والمستوى العقلي والاجتماعي»(٢).

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلنستية صـ ١٤٧، ١٤٨، تأليف: د/ محمد عبدالرحمن مرحبا، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٣م.
(٢) مع الفلسفة اليونانية صـ ٩٠.

وهكذا يرى د/ محمد مرحبا أن المقصود بالإنسان في عبارة "بروتاغوراس" هو الإنسان كنوع وليس كفرد، أي أن الإنسان هو مقياس الحقائق، أو أن الحقائق من وضع عقولنا، وأما الموجودات في الخارج فمستقلة عنا، وماهيتها فوق قدرات عقول الناس، وفي ضوء هذا التفسير تُفسر نسبة المعرفة عند السوفسطائين بأنها المعرفة التي مصدرها إنساني بحت، وليس بمعنى أن الحقائق هي ما يحلو لكل فرد

وفي نهاية حديثه عن السوفسطائية يشيد د/ محمد مرحبا بما قدمه الفكر السوفسطائي من نقلة كبيرة للفكر اليوناني، فيقول: «إن هذه الخطوة الجديدة التي خطتها الفلسفة اليونانية كانت خطوة كبيرة جدا وهامة جدا، فهي التي نقلت الفلسفة اليونانية من السطحية إلى العمق، ومن البساطة إلى التعقيد، ومن محيط الدائرة إلى مركزها، فبهذه الخطوة الجبارة أصبح الإنسان في صميم الأشياء بعد أن كان بعيدا عنها، إنها الخطوة التي ظلت الفلسفة تترقبها طويلا حتى خطاها "كنط" في فلسفته النقدية في العصر الحديث ، فأعظِم بها من نقلة قام بها السوفسطائيون قبل المسيح بعدة قرون»(١).

ثم بعد ذلك يصدر حكما عاما على السوفسطائية بأنها فلسفة إيجابية بنَّاءة، فيقول: «وهكذا فالسوفسطائية رغم ما يقال فيها، فلسفة إيجابية بناءة، إنها ثورة على السلبية وطريقة التفلسف الساذج التي تجعل من الإنسان مجرد كائن متفرج أشبه بجهاز للتسجيل لا دخل له فيما يجري خارجه من أحداث، ولا مشاركة له في تكييف الظواهر.

وما قدَّر القدماء هذه الحركة حق قدرها لأنهم لم يفهموها، ولم يدركوا المعنى العميق الذي ترمز إليه، بل سارعوا إلى ضربها في المهد قبل أن يستفحل خطرها، فرأينا عملاقا كبيرا كسقراط أو أفلاطون يجعل كده وغاية جهده مهاجمتها والرد عليها، كما هوجم "كوبرنيقوس" لا لشيء إلا لأنه عرف الحق فجهر به، ولم يحفل

(١) المصدر السابق نفس الصفحة.

بأراجيف بادي الرأي المشترك ودعاوى الخروج على المألوف، إنها دعوة طليعية جريئة حقا لم تسلم من بعض المخاطر، فكل مخاض له مخاطرة، لذلك حُقَّ لكثير من مؤرخي الفلسفة المحدثين[١] أن يقارنوا بين عصر السوفسطائيين وحال أوروبا في القرن الثامن عشر، عندما تغيرت معالم الحياة فيها بعد الثورة الصناعية الجديدة، التي نتج عنها مشاكل ومعضلات ظلت تشغل فلاسفة ذلك العصر المعروفين بفلاسفة التنوير.

وعلى كل حال إن السوفسطائيين هم الذين أيقظوا العقل من سباته العقائدي، وانتصروا لاستقلال الفرد واحترام شخصيته وحمايته من تدخل الحكومة والجماعة معا، ولئن أثاروا من المشاكل أكثر مما قدموا من الحلول، فإنهم قد مهدوا بذلك السبيل إلى إيجاد مُثل راسخة في تفكير الإنسان ووجدانه وسلوكه، وحسبهم فخرا أنهم قد أنجبوا سقراط[٢].

وهكذا نرى أن موقف د/ محمد عبدالرحمن مرحبا من الفكر السوفسطائي كان موقفا دفاعيا إلى حد كبير، فعلى الرغم مما قيل في حقها من بعض الأمور السلبية، إلا أنه يصفها بأنها فلسفة إيجابية بنَّاءة، كما أن عصرهم كان عصر التنوير.

٣- د/ أميرة حلمي مطر:

تتلمذت على يد أساتذة كبار في الفلسفة منهم د/عبد الرحمن بدوي، و د/ زكي نجيب محمود، وقد تناولت د/ أميرة حلمي مطر الحديث عن الفكر السوفسطائي في كتابها "الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها" في فصل تحت عنوان "الديموقراطية الأثينية وفلسفة السفسطائيين"، فذكرت التحولات السياسية التي

(١) يقصد د/ عبدالرحمن بدوي، وقد ذكرنا ذلك عند الحديث عن موقف د/ عبدالرحمن بدوي من الفكر السوفسطائي.
(٢) مع الفلسفة اليونانية صـ ٩٠، ٩١.

تعرضت لها بلاد اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد، والتي احتل فيها فن الخطابة بالذات محل الصدارة بين سائر الفنون، إذ أصبح من أهم وسائل التأثير على جماهير الناس، واكتساب أغلبية الأصوات في المجالس الشعبية.

فواجب الوقت في هذه المرحلة، والمهمة التي ينبغي على المتخصصين القيام بها هي تعليم الناس علوم اللغة والخطابة والجدل، وقد قام السوفسطائيون بهذه المهمة خير قيام، ولذا تقول د/ أميرة حلمي مطر: « ونشأت طائفة السفسطائيين لتقوم بتلبية حاجة الناس إلى المعرفة بهذه الوسائل التي لا غنى عنها للنجاح في الحياة العامة، وكان أكثر السفسطائيين من المتخصصين في علوم اللغة والخطابة والجدل، ولم يكن اسم السفسطائيين في بداية الأمر يفيد أي معنى سيء، وإنما كان يعني المعلم والحكيم، لذلك عدت فلسفتهم ثمرة للحياة الديمقراطية في أثينا وتعبيرا قويا عنها، وتبين هذا خاصة في تأكيد السفسطائيين لأهمية الفرد، واعتباره نقطة البداية في كل نظرية فلسفية»(١).

وهكذا ترى د/ أميرة مطر أن فلسفة السوفسطائيين تعبر تعبيرا قويا عن النزعة الفردية، التي تجعل للفرد قيمة اجتماعية وسياسية وأخلاقية.

كما ترى أن سبب الثورة التي حدثت في القديم على السوفسطائيين كانت بسبب نشرهم للعلم وإذاعته على الجمهور، فهم: «الذين أخرجوا العلم عن دائرة الأسرار، وأذاعوه على الجمهور بغير استثناء، وقدموه لكل من أعطاهم أجرا، ومن هنا يمكن أن نفسر لماذا ثار عليهم أنصار فلسفة التعليم القديم، الذين نادوا بوجوب المحافظة على سرية العلم والحيلولة بينه وبين الشيوع بين الناس بلا تمييز، لأنه لا يليق في نظرهم إلا بالصفوة الممتازة بالوراثة، وكان على رأس المنادين بهذا الرأي سقراط وأفلاطون اللذان أخذا على السفسطائيين تعليمهم الناس مقابل أجر.

(١) الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها صـ ١١٨، د/ أميرة حلمي مطر، دار قباء للطباعة والنشر ١٩٩٨م.

وادعى سقراط وأفلاطون من بعد أنهما قد بُعثا لإنقاذ اليونان من أخطار السفسطائيين مروجي النسبية والشك، فبروتاجوراس يقول: "إن الإنسان هو مقياس وجود كل شيء"، وجورجياس باعث الشك يقول: "إنه لا يوجد حقيقة، وحتى لو وجدت فإنها ليست مما يمكن معرفته أو نقله للغير"، وهيباس الذي كان يتعمد الظهور في المباريات الأوليمبية ويدعي القدرة على الحديث في كل شيء من علم الفلك حتى التاريخ القديم ليس إلا صورة مجسدة للادعاء والغرور»[١].

وتحاول د/ أميرة مطر أن تدفع هذه التهمة الموجهة إلى السوفسطائيين من قِبل سقراط وأفلاطون، وهي أنه إذا كان السوفسطائيون يؤجرون على تعليمهم الناس، إلا أن هذا لم يكن يعني أنهم أفاقون متلاعبون، لأنهم قد أثاروا مشكلات واقعهم الفكرية وعرضوها على بساط البحث والتحليل الفعلي والنقد[٢].

وخلاصة القول كما تذكر د/ أميرة مطر أن: «فلسفة السفسطائيين إنما تعد حلقة اتصال في غاية الأهمية بالنسبة لتاريخ الفلسفة اليونانية، ذلك لأنهم قد نقلوا مشكلة البحث من عالم الطبيعة إلى عالم الأخلاق والسياسة، فكانوا أول من أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض على نحو ما فعل معاصرهم سقراط، كذلك جاءت فلسفتهم تعكس المضمون الجديد للاتجاهات السياسية والاجتماعية الجديدة، فكانت أقرب ما تكون إلى فلسفة التنوير التي سادت القرن الثامن عشر في فرنسا، وبخاصة مع فولتير وروسو وديدرو، وذلك عقب الثورة الصناعية التي تمت في أوربا»[٣].

وهكذا اعترفتْ د/ أميرة مطر للسوفسطائية بالريادة للنزعة الإنسانية، وبجهودها في نقل الفلسفة نقلة نوعية من الطبيعة إلى الإنسان، ومن المادّة إلى الروح، إذ كانت السوفسطائية حلقة اتّصال هامّة في تاريخ الفلسفة اليونانية، ولعلنا نلاحظ هنا

(١) الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها صـ ١١٩.
(٢) ينظر: المصدر السابق صـ ١١٨.
(٣) الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها صـ ١٢٠.

أيضا أثر موقف د/ عبدالرحمن بدوي على فكرة د/ أميرة مطر عن السوفسطائية، كما لاحظنا ذلك من خلال عرض موقف د/ محمد مرحبا من هذا الفكر.

موقف د/ أميرة حلمي مطر من شخصيات الفكر السوفسطائي:

تناولت د/ أميرة مطر الحديث عن معظم شخصيات الفكر السوفسطائي، وسنقتصر في هذا البحث عن أشهر شخصيات الفكر السوفسطائي، لنتعرف على موقفها من النظريات التي قدموها في الفلسفة، ومن أشهرهم:

١- **بروتاجوراس:** من أشهر السوفسطائيين ومن أوائلهم، وقد ذكرت له د/أميرة حلمي مطر في بداية حديثها عنه ترجمة مختصرة، ذكرت فيها ما نسب إليه من إنكار الآلهة، وقولته المشهورة: فيما يتعلق بالآلهة فلست أدري إن كانت موجودة أم لا، وقد طرد من أثينا بسبب هذه العبارة.

أما أشهر نظريات "بروتاجوراس" فهي نظريته النسبية، والتي تعد الإنسان مقياس كل شيء، تقول د/ أميرة مطر عن عبارة "بروتاجوراس":« وينسب له أفلاطون في محاورة ثياتيتوس نظرية حسية في المعرفة تنتهي إلى إنكار وجود الحقيقة الموضوعية، ذلك لأن ما يبدو للفرد حقيقي بالنسبة له، ولا يوجد معيار ثابت يمكن الرجوع إليه لتصحيح المعرفة...، ومثل هذه النظرية تنتهي إلى الشك.

وبعد أن ذكرت د/ أميرة مطر ما نُسب إلى "بروتاجوراس" من القول بنسبية المعرفة، وأنها بهذا تنتهي إلى الشك، تعود لتدفع هذه التهمة عنه، فتقول: « غير أنه يمكن في تفسير آخر ألا تنتهي إلى الشك في إمكانية الوصول إلى الحقيقة، وذلك إذا لم تُفسَّر كلمة الإنسان بمعنى الفرد، وإنما النوع البشري، فما يبدو للبشر موجودا فهو موجود، وما لا يبدو كذلك لا يكون موجودا، ولكن هذا التفسير لم يرض عنه أفلاطون ولا أرسطو، إذ تساءلا: ولم اختار "بروتاجوراس" الإنسان ليكون مقياسا لوجود كل شيء، ولم لا يكون القرد أو أي حيوان آخر ذو إدراك؟

وقد يكون "بروتاجوراس" قد انتهى إلى التوفيق بين التفسيرين، فقصد بعبارته: أن ما لا يكون موضوعا لإدراكنا لا يكون موجودا، ولعله لم يذهب إلى حد إنكار وجود حقيقة كما يرى أفلاطون، وإنما رأى أنها متغيرة ونسبية خاصة، وأن "بروتاجوراس" يؤكد عدم إمكانية التفكير في اللاوجود، أما أن "بروتاجوراس "قد ذهب إلى حد إنكار قانون عدم التناقض، إذ رأى أن هناك دائما قضيتين متناقضتين حول كل موضوع، فهذه قضية لا تنطبق أساسا على منهج المعرفة، بل تتعلق بالخطابة، وهي فن الإقناع الذي عنى به "بروتاجوراس"، وقدم فيه دراسات هامة تناولت النحو وأصول اللغة»[1].

٢- **جورجياس:** تذكر د/ أميرة مطر في ترجمته أنه قد بهر الأثينيين ببلاغته ومقدرته الفائقة في الإقناع، ثم تذكر قضاياه الثلاث التي اشتهر بها في الفلسفة، فتقول: «وقد بقي من مؤلفه الذي عنوانه في الوجود أو في الطبيعة تلك الشذرات التي تتلخص في قوله بأن لا شيء موجود، لأنه لو وجد شيء فلا يمكن معرفته، وحتى لو أمكن معرفته فلا يمكن نقله إلى الغير.

أما برهانه على القضية الأولى: وهي أنه لا شيء موجود، فيتلخص في قوله بأنه إذا وُجد شيء فإما أنه اللاوجود أو الوجود أو كلاهما، فإن كان اللاوجود فمن الواضح أنه غير موجود، فإن وُجِد اللاوجود فإنه سيكون موجودا وغير موجود في وقت واحد وهذا مستحيل، أما أن يكون الوجود موجودا وغير موجود معا فهذا قد ثبتت استحالته.

أما برهانه على القضية الثانية: فيتلخص في أن الفكر مختلف عن الواقع، ونحن نستطيع أن نتصور تصورات لا يقابلها وجود، وبالتالي فلا يمكن أن تتم لنا معرفة بالوجود، لأنه ليس هناك مطابقة بين الفكر والوجود.

كذلك إذا فُرض وأدركنا الأشياء فنحن لا نستطيع أن نوصلها إلى الغير، لأن ما

(١) الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها صـ ١٢٢.

نوصله إلى الغير هو مجرد كلام وليس شيئا موجودا[١].

هكذا عرضت د/ أميرة مطر للقضايا الثلاث المشهورة عند "جورجياس"، لكنها لم تحاول أن تجد لها تأويلا إيجابيا يدفع تهمة الشك في الوجود عند "جورجياس"، بل ذكرت أن أفلاطون لم يُعنَ بنقد فلسفة "جورجياس" العدمية التي تهدف في النهاية إلى الشك في الوجود بقدر ما اعتنى بمهاجمة فنِّه في الخطابة، فقد كتب محاورة هامة هي محاورة "جورجياس" هاجم فيها فن الخطابة عند السفسطائيين، وبين تفاهتها، ووصفها بأنها تمويه وخداع، وليست فنا مفيدا[٢].

٤- د/ مصطفى النشار:

تعرض د/ مصطفى النشار للحديث عن الفكر السوفسطائي في الجزء الثاني من كتابه "تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي"، والخاص بالحديث عن السوفسطائيين وسقراط وأفلاطون، فبدأ حديثه في هذا الجزء عن الفكر السوفسطائي، مبينا أن ظهور السوفسطائيين كان علامة فارقة في تاريخ الفكر اليوناني، فقد كان الفكر اليوناني كان فكرا تقليديا مواكبا لفكر الشرقيين القدامى ومتأثرا به إلى حد بعيد، حتى ظهر هؤلاء الحكماء من المعلمين المعروفين بالسوفسطائيين، الذين حولوا الفكر اليوناني من النظر في مشكلات الطبيعة وما ورائها إلى النظر في مشكلات وقضايا الإنسان، والتحول الكامل من فكر الجماعة إلى فكر الفرد، وإليهم يعود بداية التفكير النقدي في التقاليد الأخلاقية والاجتماعية الموروثة، وإليهم يعود الفضل في تدعيم الديموقراطية الآثينية واليونانية.

وعلى أي حال فإننا نعتبر أن من الأصوب أن نعتبر أن السوفسطائيين هم واسطة العقد بالنسبة للفكر اليوناني في مرحلته الأولى، بفضل ما قدموه من آراء فلسفية جديدة وجريئة حولت مسار الفلسفة اليونانية نحو التفكير في قضايا الإنسان

(١)الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها صـ ١٢٤، ١٢٥.
(٢) المصدر السابق صـ ١٢٥.

بشكل مباشر، وسواء اختلفنا مع السوفسطائيين كما كان شأن سقراط وأفلاطون ، أو اتفقنا معهم في بعض القضايا، فإنه يبقى أن نعترف لهم بالقدرة على إثارة القضايا الفلسفية بشكل جديد ومبتكر، وبجرأتهم على التعبير عن آرائهم بشكل يحقق للفرد مصلحته ومنفعته، دون النظر كثيرا لمصلحة المجموع(١).

فأهم تطور شهدته الفلسفة اليونانية في القرن الخامس قبل الميلاد من وجهة نظر د/ مصطفى النشار هو ظهور السوفسطائيين وسقراط الذين جعلوا من الإنسان وقضاياه محور تأملاتهم.

ونجد وصف "التنوير" حاضرا عند د/ مصطفى النشار، فيقول في كتابه "تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون"، تحت عنوان تقييم لنظريات السوفسطائيين السياسية: «نستطيع بعد هذه اللمحات السريعة من الشذرات التي تبقت لنا عن هؤلاء الفلاسفة، الذين لاقوا هجوما شديدا من أفلاطون وأرسطو، أن نقرر أنهم يمثلون عصر التنوير في الفكر اليوناني، فقد حولوا تاريخ الفلسفة بالاشتراك مع سقراط من البحث في الطبيعة إلى البحث في الإنسان ومشكلاته»(٢).

وينفي د/ مصطفى النشار عن السوفسطائية بعض التهم الأوصاف الخاطئة التي شاعت عنهم، فيقول: «وعلى ذلك ينبغي علينا أن ننفي عنهم بعض ما وُصفوا به خطأ وشاع عنهم، **فأولا:** هم لم يكونوا سوفسطائيين بالمعنى الذي نفهمه نحن من هذا اللفظ في عالمنا المعاصر، فالقارئ المعاصر يستخدم كلمة سوفسطائي مرادفة للتلاعب بالألفاظ، أو مرادفة للقدرة على قلب الحقائق والأوضاع والتمويه على الآخرين وخداعهم!!

والحقيقة أن السوفسطائيين في ذلك العصر رغم قدراتهم البلاغية والخطابية

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ٢/ ١٠- ١٤.
(٢) تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون صـ ٥٢، ٥٣، تأليف: د/ مصطفى النشار، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

الفذة، وتمكنهم من فنهم لدرجة معينة يمكنهم فيها أن يقوموا بتلك الألاعيب والحيل اللغوية، إلا أنهم كانوا يحترفون تعليم الحكمة في المقام الأول، كما يحترف أي صانع صنعة معينة.

وثانيا: أنهم مع احترافهم مهنة التعليم، إلا أن ذلك لم يكن يعني بالضرورة أنهم كانوا يتقاضون الأجر لقاء ذلك، فلقد كان بعضهم لا يتقاضى أجرا على الإطلاق- وكان بعضهم الآخر يتلقى الأجر الذي يقدر قيمته التلميذ، وعادة ما كان هذا الأجر أقل في قيمته من قيمة ذلك الأدب الإنساني الرفيع الذي كانوا يتعلمونه من هؤلاء المعلمين الذين كانوا ينقلون إلى هؤلاء التلاميذ خبراتهم الواسعة بحقيقة الطبيعة البشرية وبفنون الحياة المختلفة»(١).

ويعتبر د/ مصطفى النشار أن مسألة تلقي السوفسطائيين للأجر مسألة مبالغ فيها من قبل نقاد السوفسطائيين، فهم لم يكوِّنوا مدرسة، وإنما كانوا ينتقلون بين مختلف بلاد اليونان، وغالبا ما كان يتم دعوتهم من قبل أحد الأثرياء في منزله للاستماع إلى حديثهم، وكان الكثير منهم يلقون محاضراتهم في أماكن عامة لقاء أجر الدخول، ولذلك فإنه على حد قوله لم يتعاطف أبدا مع هذه الضجة التي أثارها سقراط وأفلاطون حول تلقي السفسطائي الأجر مقابل التعليم.

وهذا المعنى يؤكده د/ أحمد فؤاد الأهواني، في كتابه "فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط"، حيث يقول: «ولم يكن حال السفسطائيين في أول أمرهم من مثل بروتاجوراس وجورجياس حال المغالطين طلاب المال بأي سبيل، بل كانت لهم منزلتهم، ولهم وجهة نظرهم الفلسفية، وقد كتب عنهم أفلاطون في محاوراته يوقرهم، ولكن الطبقة الثانية التي ظهرت بعد ذلك في القرن الرابع وكانوا معاصرين لأفلاطون وأرسطو لم يبلغوا منزلة الرعيل الأول، ولم تكن لهم فلسفة عميقة،

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ٢/ ٣٤.

واقتصروا على اقتناص المال عن طريق أخذ الأجر على التعليم»[١].

ويذكر "برتراند رسل" في كتابه "حكمة الغرب" بأن سقراط كان يعيب على السوفسطائيين تقاضيهم أجورا على التعليم، لكنه لم يكن منصفا في هذه المسألة، إذ أن محترفي الكلام يحتاجون إلى أن يأكلوا من حين لآخر[٢].

وقد فرق د/ مصطفى النشار بين جيلين من السوفسطائين، جيل القرن الخامس قبل الميلاد الذي كان صاحب فكر متميز، وجيل القرن الرابع قبل الميلاد الذي كان هدفه كسب أكبر قدر من المال، فالهجوم السقراطي والأفلاطوني لم ينجح في القضاء على السوفسطائيين، وعلى وجودهم وتأثيرهم في المجتمع الأثيني، بينما نجح الهجوم الأرسطي في ذلك، ويرجع نجاح أرسطو في التقليل من خطر التأثير السوفسطائي، وفي القضاء على السوفسطائيين، لأنه عاصر الجيل الثاني من السوفسطائيين، سوفسطائي القرن الرابع، أولئك الذين كان هدفهم الأول كسب أكبر قدر من المال لقاء تعليم الناس، عن طريق الاعتماد على الصور المغالطية التي نجح أرسطو في الكشف عنها[٣].

ويذكر د/ مصطفى النشار في أن ما قدمه من جانب إيجابي في فلسفة السوفسطائيين ليس دفاعا خالصا عن السوفسطائيين، وإنما كل ما أراده أن نصرف اهتمامنا عن ذلك الهجوم الشائن الذي شنه عليهم سقراط ومن بعده أفلاطون وأرسطو، وخاصة ما يتعلق منه بالمظاهر ومصادر الثروة، ذلك الهجوم الذي كان سببا في إكساب لفظ السوفسطائي هذا المعنى البغيض، فلابد أن ننصرف إلى ما هو أهم وهو جوهر الخلاف الفكري الفلسفي بين السوفسطائيين من ناحية وبين هؤلاء الفلاسفة من ناحية أخرى[٤].

---

(١) فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط صـ ٢٥٩، ٢٦٠.
(٢) ينظر: حكمة الغرب ١/ ٧٣.
(٣) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ٢/ ٣٧، ٣٨.
(٤) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٣٩، ٤٠.

موقف د/ مصطفى النشار من أشهر شخصيات الفكر السوفسطائي:

يرى د/ النشار أن الجيل الأول من السوفسطائيين هو الأجدر بالاهتمام، لأنهم كانوا أصحاب فكر متميز، وأبرز هؤلاء الفلاسفة: "بروتاجوراس"، و"جورجياس"، و"أنطيفون"، و"بروديقوس"، و"هيباس"، وسنختار فقط من هذه الشخصيات شخصيتي "بروتاجوراس"، و"جورجياس".

١- **بروتاجوراس:** يتحدث د/ مصطفى النشار عنه، واصفا إياه بأنه زعيم الحركة السوفسطائية، باعتباره أقدم السوفسطائيين وأقدرهم، بل يعتبر زعيم حركة التنوير في عصره، كما أصبح الجد الأول للنزعة البراجماتية في الفلسفة قديما وحديثا(١).

وأشهر عباراته الباقية من كتابه "عن الحقيقة" أن الإنسان مقياس الأشياء جميعها، فهذه العبارة تشكل جوهر فكر "بروتاجوراس" الفلسفي، وتلخص بوضوح موقفه من المعرفة الإنسانية،« إذ يعتقد أن الإنسان وحده هو معيار المعرفة، فإن قال عن شيء إنه موجود فهو موجود، وإن قال عن شيء أنه غير موجود فهو غير موجود، ولكن ماذا كان يقصد بروتاجوراس هنا بالإنسان، هل كان يقصد الإنسان كفرد فيكون محمد وأحمد وعلي...الخ هم معيار الوجود؟! أم يقصد الإنسان ككل، أي النوع الإنساني ككل هو معيار الوجود؟!.

وبعد أن يذكر اختلاف العلماء حول تفسير عبارة "بروتاجوراس"، يقول: « والحقيقة في اعتقادي أن بروتاجوراس لم يكن يقصد الإنسان بهذا المعنى الكلي، بل كان يقصد الإنسان كفرد هو معيار الوجود...، وعلي أي حال، فإن معظم المؤرخين يرون أن أفلاطون قد فسر عبارة بروتاجوراس على أنها تعني الإنسان الفرد وليس النوع الإنساني...، فالإنسان الفرد بحواسه هو معيار المعرفة، فإن وقع الشيء في خبرته الحسية صار موجودا بالنسبة له، وإن لم يقع في خبرته الحسية

(١) ينظر: المرجع السابق ٢/ ٤٠.

صار غير موجود بالنسبة له أيضا...، وبالطبع فإن تلك الانتقادات التي وجهها أفلاطون وأرسطو إلى نظرية "بروتاجوراس" الحسية في المعرفة لا تقلل من قيمتها، فـ"بروتاجوراس" كان متسقا مع نفسه وصادقا في التعبير عن عصره الذي كان عصر الديمقراطية والفردية، ومن ثم فقد كان كل فرد يثق في قدراته المعرفية وفي خبراته، ولم يكن مفاجئا في هذا الجو العام أن يؤكد" بروتاجوراس" أن الفرد معيار الأشياء جميعا عبر خبراته الحسية النسبية...، وهذا بالضبط ما انصبت عليه انتقادات أفلاطون وأرسطو، فقد اعتبرا أن المعرفة اليقينية إنما تستمد من المبادىء العقلية لا من المحسوسات»(١).

وقد انسحبت نظرية "بروتاجوراس" المعرفية على فلسفته الإلهية، فكتب عن الآلهة: لا أستطيع أن أعلم إذا كانت الآلهة موجودة أو غير موجودة، كما انسحبت هذه النظرية على آرائه في الأخلاق والسياسة، فالفضائل نسبية بحسب ما يراه كل شخص(٢).

٢- **جورجياس:** يتحدث د/ مصطفى النشار عنه بوصفه واحد من أشهر السوفسطائيين القدامى، ومن أعلاهم مكانة في الزمن القديم، وذلك لفصاحته وقدراته الخطابية والجدلية الفائقة.

ثم يتعرض للقضايا الثلاث المشهورة عنه، والتي يذكر د/ النشار أنها «تدور جميعا حول إنكار الوجود كما يبدو من ظاهرها، وإن كان تأملها جيدا وتأمل حججه عليها قد يكشف عن مفهومه الخاص للوجود، وهذه القضايا الثلاثة هي: لا يوجد شيء، وإذا وجد شيء فلا يمكن معرفته أو إدراكه، وإذا أمكن إدراكه أو معرفته، فلا يمكن نقله إلى الغير.

وإذا ما وضعنا هذه العبارات بجوار بعضها البعض لكانت تعني بالفعل إنكار

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ٢/٤٧، ٤٨.
(٢) ينظر: المصدر السابق ٢/ ٤٩، ٥٠.

جورجياس للوجود، ومن ثم عدت في "اللاوجود" ، وقد برع جورجياس حقا في البرهنه عليها، ولكن المتأمل المدقق في هذه البرهنة يكتشف شيئا عن طبيعة فلسفة جورجياس الإيجابية حول معنى الوجود وطبيعته، ومن ثم يعرف هل كان حقا من المنكرين للوجود بكافة صوره وأشكاله، أم أنه كان يؤمن بنوع من الوجود أراد بنفي ضده أن يؤكده مستخدما في ذلك ربما المنهج الزينوني في الجدل...، والحقيقة التي نراها ماثلة أمامنا إذا ما أمعنا النظر في تلك البراهين، متجاوزين عمن يعتبرونها مجرد مثال على "عبث السوفسطائي[١]"، الحقيقة أن جورجياس لم يكن من المنكرين كلية للوجود، بل إنه فقط- وكما يبدو خاصة من برهانه على القضية الثانية والثالثة- ينكر ذلك الوجود المعقول الواحد بالمعنى الإيلي، وإنكار هذا الوجود واعتباره غير موجود إنما هو جوهر الفكر السوفسطائي، الذي بدأ إعلانه على يد "بروتاجوراس".

إن الوجود عنده كما عند "بروتاجوراس" هو الوجود المحسوس، والمعرفة الصادقة الكاشفة عن حقيقته هي المعرفة الحسية، أما ما يقال عن الوجود المعقول والمعرفة العقلية أو عن الترادف بين الفكر والوجود والمطابقة بينهما، فهذا شيء ينكره السوفسطائيون»[٢].

وبهذا فقد دفع د/ مصطفى النشار عن "جورجياس"، بل عن جميع السوفسطائيين تهمة إنكار مطلق الوجود، فالوجود عنده هو الوجود المحسوس لا المعقول، فهم فقط- من وجهة نظره- ينكرون الترادف والمطابقة بين الفكر والوجود، فالفكر مختلف عن الواقع.

وفي نهاية حديثه عن السوفسطائيين يذكر د/ مصطفى النشار تقييما عاما لموقف السوفسطائيين من العدالة والقانون، وكيف أنهم نجحوا في إثارة قضية

(١) يقصد د/ يوسف كرم، وقد ذكرنا نص عبارته سابقا.
(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ٢/ ٥٦- ٦٣.

العلاقة بين القانون الوضعي والعدالة، حيث أكدوا أنه من المهم أن يحدث التوافق بين القانون والعدالة على أساس عدم مخالفة القانون الوضعي لأي من قوانين الطبيعة، ورغم ما قد وجه إليهم من انتقادات سنتعرض لها حين الحديث فيما بعد عن فلسفة كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو، فإنه لا يسع المرء إلا أن يتملكه الإعجاب والدهشة بما وصلوا إليه من نتائج باهرة في هذا الموضوع(١).

وفي نهاية الحديث عن هذا الاتجاه المدافع، نرى أن أصحابه قد تأثروا تأثرا كبيرا بموقف د/ عبدالرحمن بدوي في دفاعه عن الفكر السوفسطائي، فقد اعتبروا أن السوفسطائيين أول من أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض وليس سقراط، كما اعتبروهم جميعا فلاسفة التنوير في عصرهم، وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه بعض مفكري الغرب في العصر الحديث أمثال "هيجل" في تقييمه للحركة السوفسطائية في تاريخ الفلسفة اليونانية، إذ عدهم حلقة اتّصال هامة في الفلسفة اليونانية، و"ولتر ستيس" في كتابه تاريخ الفلسفة اليونانية وغيرهم من بعض مفكري الغرب المحدثين(٢).

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ٢/ ٨٣، ٨٤.
(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة الغربية- برتراند رسل ١/ ١٤٥، قصة الحضارة- ول ديورانت ٧/ ٢١٦، ٢١٧، تاريخ الفلسفة اليونانية- وولتر ستيس صـ ١٠٨- ١١٢، تاريخ الفلسفة- المجلد الأول(اليونان وروما)- فردريك كوبلستون ١/ ١٣٥- ١٥٢، وموسوعة الفلسفة- د/ عبد الرحمن بدوي صـ ٥٨٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختم الله به الرسالات، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وبعد

فقد توصلت من دراستي لموضوع البحث:" موقف مفكري العرب في القرن العشرين من الفكر السوفسطائي " إلى النتائج التالية:

١- أن أحد أهم الإشكاليات المتعلقة بالسوفسطائية، هو أن غالب معرفتنا بالاتجاه السوفسطائي إنما نشأ من خلال ما كتبه أفلاطون عن السوفسطائية، لا من خلال المقولات السوفسطائية ذاتها، وذلك لعدم كتابة أعلام السوفسطائية أفكارهم في مؤلفات، فليس من السهل معرفة حقيقتهم بصورة دقيقة، الأمر الذي يستدعي التحقق من كثير مما نُسب إلى السوفسطائية.

٢- أن اسم السوفسطائي كان يطلق بمعنى الأستاذ أو المعلم، ثم تحول مفهوم السوفسطائي إلى معنى المغالط أو المشكك على يد سقراط وأفلاطون، واستمر هذا المعنى حتى القرن التاسع عشر، حيث ارتفع "هيجل" بالنزعة السوفسطائية ارتفاعا كبيرا، وجعلها لحظة أساسية من لحظات تطور الفلسفة عند اليونان.

٣- احتلت الخطابة مكانا رئيسيا في نشاط السوفسطائيين، حتى أنهم انتقلوا من الاهتمام بالتعليم على وجه العموم إلى تعليم الخطابة بشكل خاص، وكان من أهم الأسباب التي دفعتهم لذلك العمل على تهيئ تلاميذهم للعمل السياسي الذي يستلزم القدرة على التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة، وقد جاءت السوفسطائية لتحول الدفة إلى قضايا الإنسان العملية الأرضية، وإلى موضوع المعرفة، فكانوا هم طلائع من أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض بحق.

٤- إن المتأمل لفلسفة أفلاطون يدرك إلى أي حد كان السوفسطائيون قد أثروا في المجتمع اليوناني، وأحدثوا آثارا واضحة، ولذا فقد شغل فكرهم حيزا كبيرا من تفكير أفلاطون، فلم يكتف بمحاورة واحدة لنقدهم، بل إن نقده قد امتد ليشمل معظم

فلسفته.

٥- على الرغم من بعض الجوانب الإيجابية التي ذكرناها عن المدرسة السوفسطائية، إلا أن أهم الركائز الأساسية التي ارتكز عليها الناقدون للفكر السوفسطائي- تمثلت في متاجرتهم بالعلم في سبيل الحصول على الأموال، وكذلك قولهم بنسبية الحقيقة الذي يؤدي إلى إنكار الحقيقة المطلقة، والتشكيك في المعرفة وإمكانية الحصول عليها، والذي كان له أثرا سيئا على المعرفة، وامتد أثره كذلك على الجانب الأخلاقي والسياسي، فأصبحت القيم الخلقية متغيرة بتغير الزمان والمكان والظروف والأحوال، فتعاليمهم كانت تعاليم هدامة لكل نظام اجتماعي، للدين، للأخلاق، لكل نظم الدولة، وكان منهجهم سببا في انهيار القيم الأخلاقية والاجتماعية.

٦- بينما كانت الركائز الأساسية التي ارتكز عليها المدافعون عن الفكر السوفسطائي ما ذكرناه من أن السوفسطائيين كانوا سببا في انصراف الفلسفة إلى البحث في الإنسان بعد أن كانت تبحث في الطبيعة، وأنهم نشروا التعليم في بلاد اليونان، وأن عصرهم كان نهضة فكرية، كذلك نجدهم شككوا في حقيقة القول بنسبية المعرفة لدى السوفسطائيين، وذلك بتفسير عبارة "بروتاجوراس" أنها تعني الإنسان كنوع وليس كفرد كما فسره الناقدون، بالإضافة إلى دفع تهمة إنكار مطلق الوجود التي اتُهم بها "جورجياس"، كما أن السوفسطائية من وجهة نظرهم كانت تبشيرا بعصر تنوير حاسم في الفكر الإنساني.

٧- ذهب كثير من المفكرين إلى أن نشأة الاتجاه الاسمي في مشكلة الكليات في العصور الوسطى كانت على يد السوفسطائيين، الذين ذهبوا إلى أن الكليات ليست حاصلة في العقل، ولا متحققة خارج العقل، فما هي إلا مجرد أسماء تطلق على مجموعة من الأفراد الموجودة في الخارج، كما ذهب جمع من المفكرين إلى أن السوفسطائيين قد تركوا أثرا كبيرا في الفلاسفة الذين أتوا بعدهم، خاصة البراجماتية التي يمكن أن تُعد عودة جديدة للسوفسطائية بثوب جديد.

أهم التوصيات:

١- نحتاج إلى بحث مماثل أو دراسة أخرى في بيان موقف مفكري الغرب المحدثين من الفكر السوفسطائي.

٢- ضرورة إعادة النظر في الأفكار والأقوال المنسوبة إلى بعض الفرق، وخاصة الفرق المنتسبة إلى الإسلام كالمعتزلة وغيرهم.

فهرس المصادر والمراجع

١- أحمد أمين مؤرخ الفكر الإسلامي، تأليف: د/ محمد رجب البيومي، دار القلم- دمشق- ط١، ٢٠٠١م.

٢- إحصاء العلوم، تأليف: أبو نصر الفارابي، تقديم وتعليق: د/ عثمان محمد أمين، مطبعة السعادة- القاهرة ١٩٣١م.

٣- أميرة حلمي مطر في المشهد الفلسفي المعاصر، مقال نشرته د/ خديجه زتيلي- وهو موجود على شبكة الإنترنت على هذا الموقع www.arabphilosophers.com

٤- تلخيص السفسطة، تأليف: أبي الوليد بن رشد، تحقيق: محمد سليم سالم، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة ١٩٧٢م.

٥- تاريخ الفلسفة الغربية، تأليف: برتراند رسل، ترجمة: د/ زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م.

٦- تاريخ الفلسفة اليونانية، تأليف: د/ يوسف كرم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦م.

٧- تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلنستية، تأليف: د/ محمد عبدالرحمن مرحبا، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٣م.

٨- تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي(السوفسطائيون- سقراط- أفلاطون)، تأليف: د/ مصطفى النشار، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة ٢٠٠٠م.

٩- تاريخ الفكر الفلسفي -الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون-، تأليف: د/ محمد علي أبو ريان، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠١٤م.

١٠- تاريخ الفلسفة اليونانية ، تأليف: وولتر ستيس، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة ١٩٩١ م.

١١- تاريخ الفلسفة- المجلد الأول(اليونان وروما)، تأليف: فردريك كوبلستون: ترجمة: د/ إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٢م،

١٢- تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون، تأليف: د/ مصطفى النشار، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.
١٣- الجمهورية لأفلاطون- الكتاب السادس، ترجمة: حنا خباز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.
١٤- حكمة الغرب، تأليف: برتراند رسل، ترجمة: د/ فؤاد زكريا، عالم المعرفة ١٩٨٣.
١٥- دروس في الفلسفة، تأليف: د/ يوسف كرم، د/ إبراهيم مدكور، عالم الأدب للنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١٦م.
١٦- دفاعا عن السوفسطائيين، تأليف: د/ الطيب بوعزة، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١، ٢٠١٧م.
١٧- ربيع الفكر اليوناني، تأليف: د/ يوسف كرم، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، د.ت.
١٨- السفسطائية وأثرها في نشأة مدارس الشك، د/ عبدالرحمن بن غالب عواجي ٢٠١٧م.
١٩- زكي نجيب محمود مفكرا عربيا ورائدا للاتجاه العلمي التنويري، إشراف وتصدير: د/ عاطف العراقي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الاسكندرية ٢٠٠١م.
٢٠- سيرة حياتي، تأليف: د/ عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١، ٢٠٠٠م
٢١- السوفسطائيون المفترى عليهم، د/ الطيب بو عزة، مقال منشور في أوراق نماء للبحوث والدراسات ٢٠٢٠م.
٢٢- شرح العقائد النسفية، تأليف: العلامة سعد الدين التفتازاني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠١٩م.
٢٣- العقل في التاريخ، تأليف: جورج هيجل، ترجمة وتعليق: إمام عبد الفتاح إمام

، دار التنوير ، ط٣، ٢٠٠٧م.
٢٤- فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، تأليف: د/ أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٩٥٤م.
٢٥- الفلسفة الإغريقية، تأليف د/ محمد غلاب، ط١، القاهرة، ١٩٣٨م.
٢٦- الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، تأليف: د/ عزت قرني، جامعة الكويت ١٩٩٣.
٢٧- الفلسفة اليونانية عرض ونقد، تأليف: أ. د/ أحمد السيد رمضان، ط٢، ٢٠١٢م.
٢٨- الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، تأليف: د/ أميرة حلمي مطر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ١٩٩٨م.
٢٩- قصة الحضارة، تأليف: وِل ديورَانت، ترجمة: د/ زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٨م.
٣٠- قصة الفلسفة اليونانية، تأليف: أحمد أمين وزكي نجيب محمود، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٣٥م.
٣١- مباهج الفلسفة، تأليف: "ول ديورانت"، تحقيق: د/ أحمد فؤاد الأهواني، تقديم: د/ إبراهيم بيومي مدكور، مكتبة الأنجلو المصرية .١٩٥٥
٣٢- المدخل إلى الفلسفة العامة والفلسفة الإسلامية، تأليف: د/ حسن محمود عبد اللطيف الشافعي، دار البصائر- القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.
٣٣- المعجم الفلسفي، تأليف: د/جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م.
٣٤- المعجم الفلسفي، تأليف: د/ مراد وهبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٦م.
٣٥- مدخل جديد إلى الفلسفة، تأليف: د/ مصطفى النشار، دار قباء للطباعة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م.

٣٦- مع الفلسفة اليونانية، تأليف: د/ محمد عبدالرحمن مرحبا، دار منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٨٨م.
٣٧- معجم الفلاسفة، إعداد: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.
٣٨- مقدمة صغيرة جدا برتراند رسل، تأليف: إيه سي جرايلينج، ترجمة: إيمان جمال الدين الفرماوي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٤م.
٣٩- من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، تأليف: د/ محمد عبدالرحمن مرحبا، دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت- لبنان ٢٠٠٧م.
٤٠- موسوعة الفلسفة، تأليف: د/ عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤م.
٤١- الموسوعة البريطانية المختصرة، مطبعة الموسوعة البريطانية ٢٠٠٦م.
٤٢- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، تأليف: د/ علي سامي النشار، دار المعارف- القاهرة، ط٩، ١٩٧٧م.